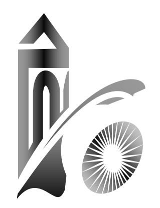
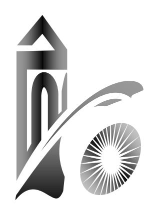




جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

عنوان المذكرة

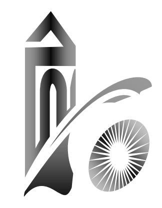
نظام الطوائف الحرفية في الدولة العثمانية خلال القرن 10هـ/16م (بلاد الشام ومصر) نموذجاً.

مذكّرة مقدّمة للحصول على شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر

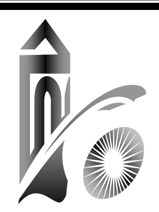
من إعداد:
مريم حميدي.
نادية حموش.

تحت إشراف:
أ.لطيفة حمـــصي.

السنة الجامعية:1435-1436هـ /2014-2015م



جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية



نظام الطوائف الحرفية في الدولة العثمانية خلال القرن 10هـ/16م(بلاد الشام ومصر) نموذجاً.

مذكّرة مقدّمة للحصول على شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر

من إعـداد:
مريم حميدي
نادية حموش

تحت إشـراف:
أ/لطيفة حمصي

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
أ/دراجي بلخوص	المدية	رئيساً
أ/لطيفة حمصي	المدية	مشرفاً
د/نادية طرشون	المدية	مناقشاً

السنة الجامعية:1435-1436هـ /2014-2015م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

إن الشكر لله سبحانه وتعالى أولاً وآخراً...، ثم إلى الأستاذة الفاضلة لطيفة حمصي، لتفضلها بالإشراف على مذكرتنا لما قدمته لنا من أراء وملاحظات قيمة وتوجيهات.

كما نتقدم بالشكر والاعتراف بالجميل إلى كل الذين قدموا لنا يد المساعدة ونخص بالذكر الأستاذة طرشون نادية والأستاذ الغالي غربي.

كما نتقدم بالشكر إلى العائلتين الكريمتين، وإلى زميلاتنا اللّواتي ساعدننا بالكثير، والشكر إلى كل من دعمنا من قريب أو بعيد.

وأخيرا نتقدم بجزيل الشكر إلى إدارة كلية العلوم الاجتمـــاعية والإنسانيـــة.

إهداء

إلى من جرع الكأس فارغاً ليسقيني قطرة حب

إلى من كلّت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادة

إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم

إلى القلب الكبير والدي العزيز أحمـــد

إلى من أرضعتني الحب والحنان

إلى رمز الحب وبلسم الشفاء

إلى القلب الناصع بالبياض والدتي الحبيبة وهيبة

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة إلى رياحين حياتي إخوتي*لامية، فاطمة الزهراء، هاجر، محمد.*

الآن تفتح الأشرعة وترفع المرساة لتنطلق السفينة في عرض بحر واسع مظلم هو بحر الحياة وفي هذه الظلمة لا يضيء إلا قنديل الذكريات ذكريات الأخوة البعيدة إلى الذين أحببتهم وأحبوني أصدقائي*رحيل، حفيظة، سارة، نور الهدى، وداد، نادية، نصيرة.*

وإلى رفيقة دربي *نادية حموش.*

مريم.

إهداء

إلى من كلّله الله بالهيبة والوقار..إلى من علمني العطاء بدون انتظار ..إلى من أحمل اسمه بكل افتخار..أرجو من الله أن يمدّ في عمرك لترى ثماراً قد حان قطافها بعد طول انتظار، وستبقى كلماتك نجوم أهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد...والدي العزيز.

إلى ملاكي في الحياة..إلى معنى الحب إلى معنى الحنان والتفاني..إلى بسمة الحياة وسرّ الوجود..إلى من كان دعاؤها سرّ نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب أمي الحبيبة..بوجودك أكتسب القوة والمحبة أطال الله في عمرك .

إلى من حبهم يجري في عروقي ويلهج بذكراهم فؤادي إلى أخواتي وأزواجهنّ وأولادهنّ، وإلى إخوتي وزوجاتهم وأبنائهم.

إلى الأخوات اللواتي لم تلدهم أمي..إلى من تحلّوا بالإخاء وتميزوا بالوفاء صديقاتي: كريمة، حنان، زينب، أسماء، نجية، أنيسة، نشيدة، وداد، رحيل..

إلى من تكبدت معي عناء المذكرة بحلوها ومرّها وقضيتُ معها أجمل اللحظات أختي وصديقتي مريم.

إلى اللذين بذلوا كل جهد وعطاء لكي أصل إلى هذه اللحظة أساتذتي الكرام، إلى من جعلهم الله إخوتي في الله ومن أحببتهم في الله طلاب قسم التاريخ.

نادية.

قائمة المختصرات :

الكلمة	الاختصار	الرقم
تحقيق.	تح.	1
ترجمة.	تر.	2
تقديم.	تق.	3
جزء.	ج.	4
دون بلد النشر.	د.ب.	5
دون تاريخ النشر.	د.ت.	6
دون دار النشر.	د.د.	7
دون طبعة.	د.ط.	8
رقم.	ر.	9
صفحة.	ص.	10
طبعة.	ط.	11
عدد.	ع.	12
ميلادي.	م.	13
مجلد.	مج.	14
مراجعة.	مر.	15
هجري.	هـ.	16

المقدمـــــــــــــة

ميزت فترة الحكم العثماني (من القرن 7هـ/13م إلى بداية القرن 14هـ/20م) بخصائص عدّة ميزتها عن الفترات التي سبقتها أو لحقت بها في العالم الإسلامي، ولا يرجع هذا التميّز إلى امتداد هذه الفترة زمنياً وجغرافياً فحسب، بل إلى وجود نظام غاية في الأهمية سواء من الناحية الإدارية، السياسية، الاجتماعية، العسكرية، الدينية وحتى الحضارية والتي شملت جميع مناحي الحياة، وشكلت في مجملها نظام حكم أقرب ما يكون إلى منظومة دقيقة التناسق والقوة والمرونة لأكثر من ثلاث قرون ونصف من الزمن.

ويعتبر القرن العاشر هجري/ السادس عشر ميلادي فترة حاسمة في تاريخ الأقطار العربية، خاصة بلاد الشام ومصر، وذلك بعد انضوائهما تحت الحكم العثماني عام 922و923هـ /1516و1517م، إذ عرفتا حراكاً اقتصادياً أكثر نشاطاً من ذي قبل، وفي ظل السياسة التي انتهجتها الدولة العثمانية مع إيالاتها تمكنت هذه الأخيرة أن تنتعش أكثر خاصة في المجال الاقتصادي الذي انعكس على الواقع الاجتماعي وبهذا برزت الحرف بقوة مما أدى إلى زيادة بروز الطوائف الحرفية معها، وكان ذلك بسبب عدم إهمال الدولة العثمانية للمؤسسات والنظم الاقتصادية التي كانت قائمة قبل حلولها.

لقد كانت تشكيلة الطوائف الحرفية من أهم الفئات الفاعلة في المجتمعين الشامي والمصري مما أوجد بذلك تناسقا في المجتمع ساهم في تفعيل دور مشايخها، حيث تركزت أغلب الأصناف الحرفية في المدن، وضمت الطبقة الوسطى في المجتمع، ولقد انتظمت في مجموعات وخضعت كل طائفة لقوانين جماعتها فيما ترتب عنها من الالتزام ودفع إتاوات.

ومع تطور المجتمع تحولت التنظيمات الحرفية من التنظيم البسيط إلى المركب، وكان لها الدور الفاعل في عملية تلقين وتوريث الحرفة من الجدّ إلى الأب فالابن، وبهذا حافظت الحرف على بقائها واستمرارها وحمايتها من الاندثار، وعليه شكلت هذه الآلية الانتقالية مساهمة في الحفاظ على الموروث الثقافي في المجتمعين الشامي والمصري، كما ساهمت في تنميته من جميع جوانبه الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وبالتالي تمتين الاواصل الاجتماعية بين طوائف الحرف ودعم علاقات أفرادها.

دواعي اختيار الموضوع:

إنّ الخلفية التي كانت وراء اختيارنا لموضوع مذكرتنا الموسوم **بنظام الطوائف الحرفية في الدولة العثمانية خلال القرن 10هـ/16م (بلاد الشام ومصر) نموذجا** ، ودراسته باعتباره القوة الاجتماعية الفاعلة في تسيير دواليب الحياة الاقتصادية هو قلة الكتابات حوله في المراحل الأولى للحكم العثماني ونخص بذلك القرن 10هـ/16م بالإضافة إلى معرفة ما إذا خضعت هذه الطوائف للمتغيرات والمستحدثات عند انضواء كل من مصر والشام تحت السلطة العثمانية.

أما أهمية الدراسة:

فتكمن في معرفة التنظيمات الحرفية، وإبراز تشكل أصنافها، والتعرف على الأسس التي قامت بتشكيل طوائفها، بالإضافة إلى مساهمة الأصناف الحرفية في تكوين الحرفيين، فضلا عن أهم الحرف وأماكنها التي كانت متواجدة قبيل وخلال الفترة العثمانية في الشام ومصر، ومعرفة أكثرها إقبالا من طرف الحرفيين.

وللتعرف أكثر على التنظيمات الحرفية قمنا بطرح إشكالية تمثلت في: إلى أي مدى ساهمت الدولة العثمانية في المحافظة على استمرارية نظام الطوائف الحرفية في شكل طوائف؟، حيث تفرعت تساؤلات جاءت كالتالي: ما هي ملامح التنظيم الحرفي بالشام ومصر؟ وهل كان للدين علاقة بنظامها الطائفي؟ كيف ساهم هذا النظام في الحياة الاقتصادية والاجتماعية وحتى السياسية؟.

الدراسات السابقة للموضوع:

بالعودة إلى الكتابات التي تحدثت عن الموضوع نجد أنّ التاريخ الاقتصادي لم يحظ في أغلب الأحيان بالكثير من الاهتمام على غرار التاريخ السياسي والعسكري خاصة في المراحل الأولى للحكم العثماني ونخص بذلك القرن 10هـ/16م، لهذا كانت مصادرنا شحيحة للفترة المدروسة فيما يخص الطوائف الحرفية، أما الدراسات التي توصلنا إليها على قدر استطاعتنا فكانت رسالة الدكتوراه لمحمد غنيم محمد عطية الصياد **المعنونة بالطوائف الحرفية ودورها في الحياة العامة في مصر الإسلامية في عصر الدولة الفاطمية 358هـ–987م/567هـ–1171م**، رغم أنها كانت في فترة متقدمة إلا أنها أفادتنا في التعرف على أهم الحرف التي كانت متواجدة قبل العهد العثماني.

أما الدراسة الثانية والتي كانت رسالة دكتوراه لعائشة غطاس، والموسومة **بالحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700–1830م مقاربة اجتماعية واقتصادية** ، إلا أنّ هذه الدراسة كانت في فترة متأخرة، بالإضافة إلى أنّها خاصة بجزائر الغرب لكنّها أفادتنا هي الأخرى من خلال تطرقها للمقاربة التي قامت بها بين الجزائر وبلاد الشام ومصر؛ وأهم دراسة تخص بلاد الشام كانت لعبد الكريم رافق المعنونة **ببحوث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي في العصر الحديث** ، إلا أننا لم نتمكن من الحصول عليها بسبب عدم وجود نسخها بالجزائر بأغلب الأحيان.

استعملنا في دراستنا المنهج الوصفي.

الخطة المعتمدة في الدراسة:

اقتضت طبيعة الموضوع أن يكون تقسيم المذكرة إلى ثلاث مباحث رئيسية مسبوقة بمدخل ومقدمة، بالإضافة إلى الملاحق وقوائم المصادر والمراجع، فكانت خطتنا على الشكل الآتي:

أولاً **المدخل** وتناولنا فيه الوضع الاقتصادي العام للدولة العثمانية في هذه الفترة.

أما **المبحث الأول** المسمى **بنظام الطوائف الحرفية في بلاد الشام** فقسمناه إلى أربعة مطالب فالأول تحدثنا فيه عن **نشأة الأصناف الحرفية في بلاد الشام** من خلال معرفة زمن تواجدها في الإيالة. أما المطلب الثاني الموسوم **بالبنية التنظيمية للطائفة الحرفية ببلاد الشام** فتعرفنا من خلاله عن بنية التنظيم الهرمي للطائفة من خلال التدرج في السلم الحرفي، بدءاً من الأدنى إلى الأعلى. أما المطلب الثالث المعنون **بأهم الحرف والصناعات الشامية** ؛ فتعرفنا من خلاله عن أهم الحرف الدمشقية التي كانت متواجدة آنذاك وعن أهم الحرف التي تحوي عدد كبير من الصناع، بالإضافة إلى معرفة أي حرفة تلقى إقبالا عليها. أما المطلب الرابع وهو **الأسواق في بلاد الشام** ، فتعرفنا من خلاله عن أهم الأسواق في بلاد الشام.

في حين جاء المبحث الثاني تحت **عنوان نظام الطوائف الحرفية في مصر** ، والذي قسمناه كذلك إلى أربعة مطالب؛ المطلب الأول معنون **بنشأة الطوائف الحرفية بمصر**، تطرقنا فيه إلى معرفة تاريخ وجود الحرفيين في مصر، أما المطلب الثاني فحمل عنوان **البنية التنظيمية للطوائف الحرفية في مصر**، إذ تطرقنا فيه إلى معرفة هيكلة الطوائف الحرفية خلال العهد العثماني بمصر، أما المطلب الثالث والمعنون **بأهم الحرف المصرية** ، فتعرفنا من خلاله على أبرز الحرف الموجودة بمصر، أما المطلب

الرابع الموسوم **أسواق الحرفيين في مصر** ، والذي تحدثنا فيه عن أكبر الأسواق الحرفية في مصر العثمانية وكيفية توزعها في الأحياء.

أما المبحث الثالث المعنون **بدور الأصناف الحرفية وتفاعلها** . فقد قسم إلى ثلاثة مطالب، وتناول المطلب الأول **علاقة الطوائف الحرفية بالسلطة وتفاعلها مع الطرق الصوفية**، في حين جاء المطلب الثاني بعنوان **علاقة الأصناف الحرفية فيما بينها** ، ثم اختص المطلب الثالث في **علاقة الطوائف الحرفية بباقي فئات المجتمع**.

الصعوبات:

لا تخلو أي دراسة من وجود صعوبات، فبالنسبة لموضوع نظام الطوائف الحرفية هذا صادفتنا ندرة في مصادر قرن 10هـ/16م بصفة عامة لقلتها إن لم نقل ندرتها في كثير من الأحيان إذ يُعزى إلى نقص الكتابات خلال هذه الفترة، وحتى إن وجدت لم تغطِ فئة الحرفيين بالدراسة الدقيقة بل تحكِ بصفة عامة عن الأوضاع الاقتصادية ولا تتجه نحو التخصص في الكتابة.

أهم المراجع المعتمدة في الدراسة:

-كتاب **مجتمع مدينة دمشق في الفترة ما بين 1186–1256هـ/1772–1840م** الجزء الأول ليوسف جميل نعيسة، فهذا الكتاب يتحدث مجتمع مدينة دمشق، وقد أفادنا هذا الكتاب في معرفة نشأة الأصناف الحرفية في بلاد الشام وتعرض كذلك في كتابه إلى التنظيم الهيكلي للطائفة الحرفية في بلاد الشام.

-كتاب **خطط الشام** الجزء الرابع لمحمد كرد علي للتعرف على أهم الحرف والصناعات الشامية.

-أما فيما يخص مصر فقد وظفنا كتاب **تاريخ مصر الاقتصادي في العصر الحديث** لمحمد فهمي لهيطة، فمن خلاله تعرفنا على نشأة الأصناف الحرفية في مصر.

-واستعملنا أيضا كتاب **الألقاب وأسماء الحرف والوظائف في ضوء البرديات العربية** الجزء الأول لسعيد مغاوري محمد، وهذا الكتاب أفادنا في معرفة أهم الحرف المصرية.

المدخـــــــل

النظم الاقتصادية في الدولة العثمانية :

ندرك مدى أهمية التاريخ العثماني ومكانته في الإطار العام للتاريخ العالمي، فالسلطنة العثمانية هي الدولة الوحيدة التي استطاعت بعد الإمبراطورية الرومانية أن تعمرّ أطول فترة زادت عن ثلاثة قرون ونصف من الزمن (من القرن7هـ/ 13م إلى القرن 14هـ/ 20م).

ولقد وصلت حدودها الجغرافية في القرن العاشر هجري /السادس عشر ميلادي من الجهة الغربية إلى قلب أوروبا فيينا وشرقاً إلى بحر قزوين ومن الجهة الشمالية إلى سواحل البحر الأسود وجنوباً إلى الدولة الصفوية والخليج الفارسي وبلاد الحجاز . وتوقف زحف العثمانيين عند الوصول إلى السواحل الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط في كل من طرابلس الغرب، تونس وجزائر الغرب [1]. وبهذا تكون الدولة قد نجحت في تربعها فوق ثلاث قارات هي آسيا، أوروبا وأفريقيا[2].

تعدّ الدولة العثمانية أكبر الدول في الفتوحات الإسلامية بعد الدولة الأموية (41-132هـ/661-749م)، إذ يرجع إلى المبدأ الأساسي الذي تبنته بالدعوة للجهاد والغزو ضد الكفار المسيحيين، لا للسيطرة وفرض القوة على الشعوب الضعيفة سيما العربية منها، وإنما لحمايتها فالدولة تَعتبر حماية الإسلام والحرص على نشره وبقائه قائما أهم واجب وذلك بالحافظة على الشريعة الإسلامية [3]وهذا ما يُعتبر من الدعامات الأساسية التي أهلتها لتصبح بالفعل دولة قوية، إضافة إلى قوة شخصية سلاطينها خاصة الأوائل منهم؛ ومساندة العلماء لهم وكذلك جماعة الأخيات [4]، ومساهمتهم في وصول هؤلاء السلاطين إلى سدّة الحكم ،كما أن جماعة الأخيات تركت بصمتها التي لا تُمح عند صياغة الأفكار المثالية العثمانية، وخاصة الأفكار الاجتماعية[5].

---

[1] -حسن مؤنس، **أطلس تاريخ الإسلام**، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987م، ص ص 358- 359.

[2]- **انظر الملحق رقم01**: يوضح الدولة العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني، ص54.

[3] - خليل إينالجيك، **تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار** ، تر: محمد الأرناؤوط، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002م، ص 103 .

[4]- مفرد أخي، وهي مؤسسة اجتماعية نشأت في الأناضول في القرن الثامن هجري/ الرابع عشر ميلادي تنشط في الأعمال الخيرية وحث الناس على حب العمل ومساعدة الآخرين. للمزيد أنظر: سهيل صابان، **المعجم الموسوعي للمصطلحات التاريخية**، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000م، ص 13.

[5]- نيقولا إفانوف، **الفتح العثماني للأقطار العربية** 1517م - 1574م، تر: يوسف عطا الله، مر: مسعود ظاهر، ط 1، دار الفارابي للنشر، بيروت، 1988م، ص 6 .

أضحت الدولة العثمانية خلال القرن العاشر هجري / السادس عشر ميلادي قوة عظمى خاصة في عهد السلطان سليمان القانوني [1]. وبرزت هذه القوة في جميع ميادين الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية وحتى الدينية [2] للمجتمع العثماني فإن عناصر العدالة والدولة والشريعة والسيادة والجيش والثروة والسكان كانت تمثل الركائز والدعائم الأساسية لبناء الدولة [3]، بصفة عامة واقتصاد الدولة بصفة خاصة، فإذا فُقد عنصر من هذه العناصر أدّى إلى انهيار الدولة وتفكك المجتمع وتراجع المكانة الاقتصادية لها، ولهذا عملت الدولة العثمانية على تعزيز قوتها للحفاظ على نظام واستقرار الاقتصاد والتجارة اللذان خضعا لتنظيمات حكومية صارمة والتي أزاحت البنادقة جانبا، وأعطت الفرصة لظهور وبروز هيئة تجارية محلية محضة. ففي ظل هذا النظام تَكوّن المجتمع من مجموعتين أساسيتين هما أساس النظام والسلم فيه. الفئة الأولى هي فئة الحاكمين العسكريين، واعترف لهم السلطان بمرسوم يخول لهم بموجبه صلاحيات إدارية دينية [4]. وهذه الفئة معفية من الضرائب وليس لها أي علاقة بالإنتاج.

أما الفئة الثانية هم الرعايا المحكومين، إذ شملوا فئة التجار والعمال والفلاحين وهي مجموعة الأفراد التي تقوم بأعمال منتجة، وتُعدّ المحرك الأساسي للتجارة والنشاط الاقتصادي، كما أنها ملزمة بدفع الضرائب[5].

---

[1]- ولد عام 900هـ / 1495م، عاشر سلاطين آل عثمان الملقب بالقانوني، جلس على كرسي العرش سنة 927هـ/1520م بعد وفاة والده سليم، أمر ببناء جامع السليمية ومدرسة في المكان الذي دفن فيه والده، قام بفتح مدينة بلغراد عام1521م وجزيرة رودس التي لم يتمكن من فتحها محمد الفاتح، في عهده وصلت جيوش الدولة إلى أبواب فيينا عاصمة النمسا. للمزيد أنظر: محمد فريد بك المحامي، **تاريخ الدولة العثمانية**، تح: إحسان حقي، ط 1، دار النفائس، بيروت، 1981م، ص 198 وما بعدها .

[2]- روبير مانتران، **تاريخ الدولة العثمانية**، تر:بشير السباعي، ج 1، دار الفكر للدراسات والتوزيع، القاهرة ، 1989م، ص 239.

[3]- أكمل الدين إحسان أوغلى ، **الدولة العثمانية تاريخ وحضارة**، ج1، تر: صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إسطنبول، 1999م، ص 526.

[4]- نفسه ص 526.

[5]- خليل إينالجيك، **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية 1300م -1600م** ، مج1 ، تر: عبد اللطيف حارس، ط 1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2007 م، ص 61.

لقد كان المجتمع العثماني بحدّ ذاته ينقسم من حيث مواطن الاستقطاب إلى ثلاث أقسام هي: أهل الحضر وهم سكان المدن ويتشكلون من المواطنين الأصليين والتجار وأرباب الصنائع، ثم نجد أهل الريف الذين يعيشون على الزراعة[1] ونجد أيضاً الأجانب[2].

استمدت الدولة العثمانية هذا التقسيم الاجتماعي من الدول التي سبقتها، حيث تأثرت بنظم الدولة العباسية والبيزنطية والسلجوقية، وأخذت عنها هذه التقسيمات وحافظت عليها[3].

الوضع الاقتصادي :

لقد أدرك العثمانيون مدى أهمية السيطرة على مضيق الدردنيل، وهذا راجع لأسباب عسكرية واقتصادية رغبةً في تأمين طريق المرور من الأناضول إلى البلقان، وفرض الضرائب على البضائع التي تمر عبر المضائق. فبعد دخول العثمانيين بورصة سنة 727هـ/1326م، وضعوا نصب أعينهم فكرة إقامة مراكز صناعية وتجارية داخلها وربطها بشبكة من الطرق التي كانت تستعمل أساساً للتجارة [4]. وللإشارة فإنّ الطرق الرئيسية المتواجدة في المنطقة تعود إلى أيام الرومان، حيث كان الطريق الرئيسي يبدأ من إسطنبول[5] وصولا إلى آسيا الصغرى [6]، فالأراضي العربية ومنها إلى أدرنة [7]. علما أنّ إسطنبول لم تكن العاصمة الإدارية فقط، بل كانت مركزاً عسكرياً واقتصادياً، إذ كان على سكان الأقاليم أن يبيعوا منتجاتهم النسيجية والجلدية والنحاسية في أسواقها، وبعد فتح مصر أصبحت منافساً كبيراً لها، إذ لم يتمكن السلاطين من التحكم في الأنشطة التجارية في القاهرة على عكس

---

(1)- أوغلى، المرجع السابق، ص 599 .

(2)- انظر الملحق رقم 02 يوضح هرم لفئات المجتمع العثماني ص 55.

(3)- جميل سيار، **تكوين العرب الحديث**، دار الشرق للنشر والتوزيع، الأردن، 1997م، ص 51 .

(4)- بيتر شوجر، **أوروبا العثمانية 1354 م – 1804م**، تر: عاصم الدسوقي، ط 1، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 1998م، ص32 وما بعدها.

(5)- نجدها إسلام بول وهي القسطنطينية سابقاً، للمزيد انظر: س. موستراس، **المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية**، تر: عصام محمد الشحادات، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2002م، ص58.

(6)- دخلها الأتراك عام 1243م وقضوا على الدولة البيزنطية، للمزيد انظر: مؤنس، المرجع السابق، ص33.

(7) – كانت تسمى أدريانوبوليس نسبة للإمبراطور الرومي أدريان، انتزعها منه مراد الأول سنة762هـ/1360م فكانت عاصمة للدولة حتى تمّ فتح القسطنطينية سنة 857هـ/1453م، للمزيد انظر: موستراس: المرجع نفسه، ص ص 35–36.

اسطنبول التي أشرفوا فيها على عمليات التبادل التجاري [1]، بالإضافة إلى طريق تجاري آخر وهو طريق الدانوب والأنهار التي تصب فيه أو التي تصب في بحر إيجة الذي يصل البحر الأسود بالبحر الأبيض المتوسط[2].

لقد انتعشت التجارة العثمانية في الداخل كما في الخارج من خلال تجارة وصناعة الحرير في بورصة مع دمشق وأصبحت دمشق سوقاً عالمياً للحرير الخام، أما الواردات التي كانت تدخل مدينة بورصة من الدول العربية خاصة سورية ومصر فتمثلت في التوابل والنيلة (نوع من الخيوط) والكتان المصري والرز والسكر والصابون السوري، فخلال القرن العاشر هجري/ السادس عشر ميلادي كانت سوريا ترسل حوالي 50 ألف كلغ من الصابون في السنة إلى البلاط العثماني، وتُعدُّ بلاد الشام ومصر المصدر الرئيسي لثروة السلطنة، أما بالنسبة للبضائع التي كانت تصدر من آسيا الصغرى إلى سوريا ومصر فتتمثل في خشب البناء والحديد والأدوات الحديدية والسجاد والأفيون والفواكه المجففة والجلود والشمع والقطران [3].

ولقد عرف استراد الحرير من إيران [4] نوعا من التراجع خلال الفترة الممتدة من عام 918هـ/1512م إلى غاية عام 965هـ/1557م وذلك بالنسبة للمرحلة التي سبقتها، إذ يعود هذا التراجع إلى الظروف السياسية بين الدولة العثمانية وإيران [5]، حيث أورد وجيه كوثراني في كتابه **الفقيه والسلطان** أنّ هذا الصراع يبقى جزءا من مشروع كبير يقوم على عوامل ومقومات أخرى تحتل فيه العناصر الاستراتيجية والجغرافية–السياسية وعناصر المصلحة والاقتصاد حيزا لا يستهان به وإن لم يعلن عنه؛ والملاحظ أنّ الدراسات التاريخية التي تناولت الخلفية الاستراتيجية والاقتصادية لتلك المرحلة قليلة جدا[6] .

---

(1)– ثريا الفاروقي، **الدولة العثمانية والعالم المحيط بها**، تر: حاتم الطحاوي، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2008، ص ص 58–59.

(2)– إينالجيك، **تاريخ الدولة العثمانية**، ص 191.

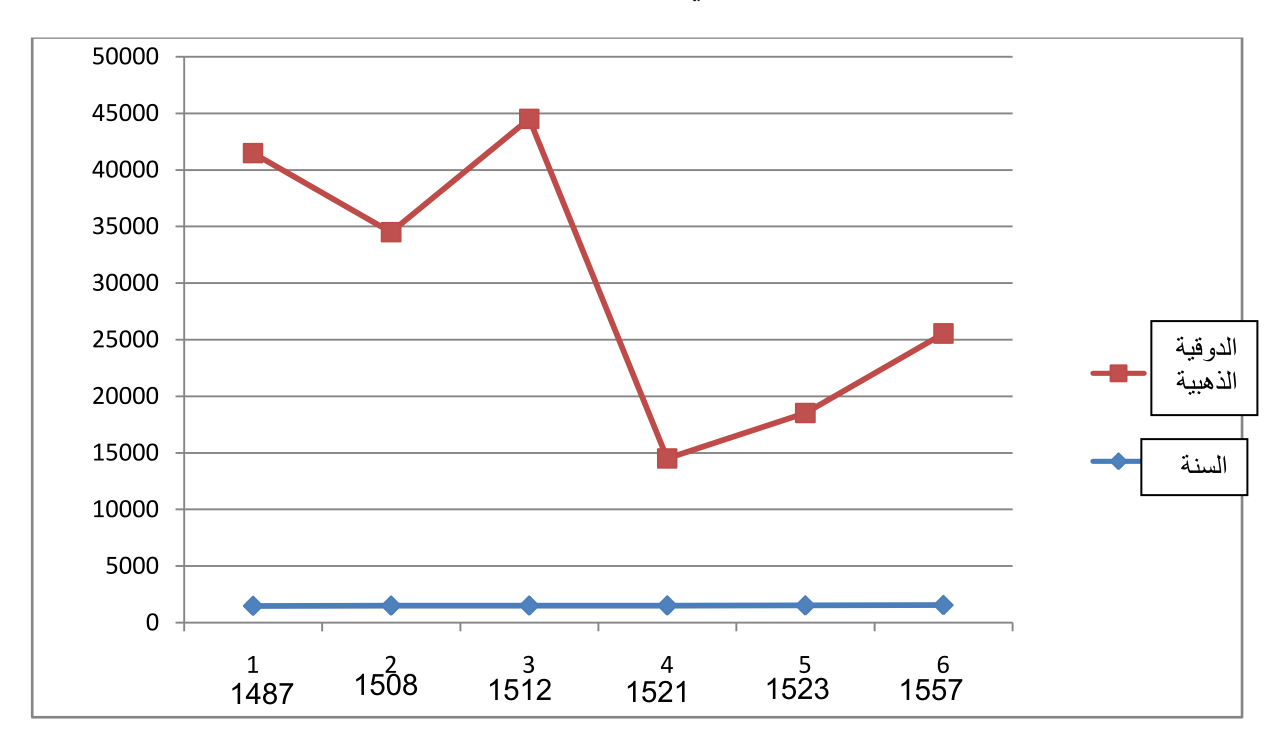
(3)– نفسه، ص198–199.

(4) – انظر **ملحق رقم 03** يوضح واردات بورصة للحرير من إيران، ص 56 .

(5) – اينالجيك، المرجع نفسه، ص 194.

(6) – وجيه الكوثراني، **الفقيه والسلطان**، المركز العربي الدولي للنشر والترجمة، ص ص 60–61.

إنّ جدول ملحق رقم (3) يعطينا نتائج انعكاس الصراع الصفوي العثماني وذلك من خلال استيراد مادة الحرير التي تدخل هي ومادة القطن المستورد من مناطق البحر المتوسط كسلعة أساسية لصناعة الأشرعة البحرية السلطانية [1]، حيث يبين لنا المنحنى البياني ذلك التراجع في استيراد هذه المادة والذي أثر على اقتصاد الدولة العثمانية كما يلي:



- واردات بورصة للحرير من إيهران ما بين (893- 965هـ/ 1487- 1557م) .

(1) – الفاروقي، المرجع السابق، ص 117.

المبحث الأول: نظام الطوائف الحرفية في بلاد الشام.

1. نشأة الطوائف الحرفية في بلاد الشام.
2. البنية التنظيمية للطائفة الحرفية في بلاد الشام.
3. أهم الحرف والصناعات الشامية.
4. الأسواق في بلاد الشام.

عملت الدولة العثمانية على تثبيت أقدامها في المناطق التي ضمتها إلى حاضرتها خلال نظام حكم مركزي، فقد دامت بلاد الشام تحت الحكم العثماني قرابة أربعة قرون، منذ أن سحق السلطان سليم الأول[1] المماليك في معركة مرج دابق[2] سنة 922هـ/1516م، ومنذ ذلك الوقت ملك البلاد سِلماً وعلى رأسها دمشق.

ظلّ العثمانيون يشكلون طبقة حاكمة كبديل لطبقة المماليك التي كانت تحكم قبلهم، وأقام وا بذلك في جميع الولايات نظاماً إدارياً متسقاً نسبياً، فلم يغيروا من بنية المجتمع الدمشقي عرقياً أو لغوياً، أو حتى في طريقة معيشته أو تنظيماته المحلية، بل حافظوا على ما وجدوه من تنظيمات.

كان المجتمع الشامي مقسم إلى قسمين رئيسيين، أولهما هيئة الحكام والمتمثلة في السلطة الحاكمة أو كما تعرف بأهل السيف وبعض العلماء والملقبون بأهل القلم، والثانية فشكلت بتعدادها معظم أهل الشام ومثّل ت بذلك أفراد المجتمع وهي الرّعية. حيث ا حتوت هذه الفئة على مختلف شرائح المجتمع، إذ نجد التجار، الحرفيين كما نجد أهل الذمة . مثلما هو في أغلب الإيالات التي انضوت تحت الحكم العثماني، حيث اعتمدت الدولة العثمانية نظام الملل في إطار التعايش بين المسلمين وغير المسلمين في البلاد العربية كما كان من ذي قبل.

وما يهمنا في هذه الدراسة فئة من الفئات المتنفّذة في المجتمع الشامي ، وهي فئة الحرفيين التي كانت تساهم بشكل كبير في الاقتصاد واعتبرت المحرّك لتجارته.

---

[1]- الملقب بياووز أي الصارم، هو ابن السلطان بايزيد الثاني، ولد عام 875هـ/1470م، بأماسيا، قام بانقلاب على والده وجذب الجيش إلى صالحه، وقام بخلعه عام 918هـ/1512م، ونصّب نفسه على سدّة الحكم في شهر أفريل 1512م، كانت أول مواجهة له ضدّ إسماعيل الصفوي في 1512/08/23م، وكان الانتصار حليف سليم بفضل المدفعية التركية، ودخل مدينة تبريز. وفي عام 921هـ/1515م قام بتدعيم الجيش وإعادة تنظيمه، واجه السلطان الغوري المملوكي في معركة مرج دابق سنة922هـ/1516م، وانتصر عليه ودخل مدينة حلب. للمزيد انظر: علّي بن محمد اللّحمي الاشبيلي، **الدّر المصان في سيرة المظفر سليم خان**، تح: هانس ارنست، دار إحياء الكتب العربية، 1962م، ص ص ، ز –ح.

[2]- تقع شمال حلب. للمزيد انظر: أحمد بن محمد بن عمر الأنصاري ابن الحمصي، **حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران**، تح: عبد العزيز فياض حرفوش، ج3، ط1، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2000م، ص522.

1. نشأة الأصناف الحرفية في بلاد الشام:

مثّلت الرعية غالبية سكان المدن في الدولة العثمانية، و لقد برزوا من خلال الممارسات الاقتصادية، وذلك بالإنتاج والحِراك التجاري[1]، ولعبوا بذلك دوراً هاماً وأساسياً في المجتمع الشامي.

بالفعل ما نجده في هذا المجتمع خلال الحقبة العثمانية، فمن المساهمين في النشاط الاقتصادي في بلاد الشام فئة الحرفيين وطوائفها[2]، كما نجدها خاضعة للتنظيمات الحرفية التي تُنظمها انطلاقاً من قوانين تخضع لها، حيث أنّ هذه التنظيمات الحرفية برزت كظاهرة اجتماعية واقتصادية أثّرت في الجانب السياسي[3]. فقد كانت الوظيفة الاجتماعية للطائفة الحرفية معزّزة بالانتماء الديني لإحدى الطرق الدينية المهمة في ذلك المجتمع، نظراً للأثر الأخلاقي للشخصيات الدينية، والتي ترتبط بصفات كالصدق والرصانة والانضباط، فضلا عن أنها مدعمة للوحدة الاجتماعية ومؤكدة على واجباتها[4].

بالعودة إلى أصول التنظيمات الحرفية فإننا نجد أن جذورها قديمة، برزت في العهد الفاطمي لأجل الدعوة للفاطميين، وبهذا امتزجت بالصفة السياسية بتوغلها في صفوف الحرفيين[5].

---

(1)- أندري ريمون: **المدن العربية الكبرى في العصر العثماني**، تر: لطيف فرج، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1991م، ص 68.

(2) -الطوائف يمكن أن نجدها بلفظ آخر وهو الصنف، وهذه المصطلحات تستخدم هنا في المهنة أو الحرفة ، وفي اللغة التركية تعرف ب **لونجة** وتعني النادي أو التنظيم المهني الذي انتشر في الأناضول منذ القرن 7هـ/13م، للمزيد انظر: صابان، المرجع السابق، ص197.

(3)- يوسف جميل نعيسة: **مجتمع مدينة دمشق في الفترة ما بين (1186-1256هـ/1772-1840م)**، ج1، ط1، دار طلاس للدراسات والترجمة، دمشق، 1986م، ص280.

(4)- هاميلتون جب وهارولد بون: **المجتمع الإسلامي والغرب دراسة حول تأثير الحضارة الغربية في الثقافة الإسلامية بالشرق الأدنى في القرن الثامن عشر للميلاد** ، تر: أحمد إيبش، ج 1، ط 1، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، دار الكتب الوطنية، 2012م، ص387.

(5)- نعيسة، المرجع السابق، ص281.

وبزوال الدولة الفاطمية وظهور الدويلات السنّية احتوتها هذه الأخيرة ووضعتها تحت إشرافها، فأصبح المحتسب[1] في الأسواق مشرفا عليها[2]. إذ يرى عبد الكريم رافق: "أنّ عدد هذه الطوائف في مدينة دمشق وحلب وصل مجموعها حوالي 163 طائفة"[3]، والملاحظ أنها انقسمت إلى طوائف بحسب ما تصنعه وتبيعه، إذ لكانت كل طائفة متخصصة في عمل معين، كما كان الانتقال من طائفة إلى أخرى غير ممكن[4] لأن عمر الحرفي يبدأ صغيراً في الحرفة ومن هنا يكون التخصص.

كان أصحاب الحرف ينتمون في تشكيلاتهم إلى نقابات، وكانت الرقابة الذاتية لكل مجموعة حرفية تسير بصورة دقيقة المعالم ، وعليه من غير الممكن أن تتعارض الصراع مع النوعية الجيدة وإلا فهي مخالفة للمواصفات المتفق عليها والمطلوبة، وعلى العموم فإنّ أصحاب الحرف وأربابها كانوا ينتمون عن طريق الوراثة إلى حرفة واحدة ويشكلون بذلك تخصصات يمكننا أن نسميها حرف عائلية، إذ لا يمكن بشكل من الأشكال أن تتعدى مجموعة عن الأخرى وحتى ينتسب الصبي للحرفة يجب عليه أن يشتغل عند المحترف[5]. و هذا ما سيلي ذكره بالتفصيل:

---

[1]- لغة مشتقة من احتساب، وفي الاصطلاح نظام إداري استحدث في العصر الإسلامي، موضوعه المحافظة على النظام والفصل الفوري في الخصومات، لذلك جمع المحتسب مابين اختصاص النيابة العامة وأعمال الشرطة بآن واحد، فكان يبت في القضايا المستعجلة بدون الرجوع إلى القضاء، وبالوقت نفسه كان يقمع المخالفات المتعلقة بزيادة أسعار السلع، ويراقب الأوزان والمكاييل، وأسواق البيع والشراء. للمزيد انظر مصطفى عبد الكريم الخطيب، المرجع السابق، ص ص 143- 144.

[2]- نعيسة، المرجع السابق ، ص 281.

[3]- ريمون، المرجع السابق، ص 99.

[4]- يلماز أوزتونا: **موسوعة تاريخ الدولة العثمانية** ، تر: عدنان محمود سلمان، مج4، ط1، دار العربية للموسوعات، لبنان، 2010م، ص 283.

[5]- نفسه، ص 283.

2. البنية التنظيمية للطائفة الحرفية في بلاد الشام:

إنّ التطورات التي حصلت في الحرف أكسبتها تنظيمها العام الذي تجسد في تنظيم العلاقات داخل الطائفة، وعلاقاتها الخارجية مع الطوائف الأخرى، أو مع السلطة، لذا أوجدت في جميع الطوائف الحرفية مجموعة من الأشخاص أوكلت إليهم أداء مهام كلٌّ حسب اختصاصه، وأصبح للطوائف الحرفية تنظيم هرمي الشكل[1].

- **شيخ الحرفة:**

تتميز التنظيمات الحرفية عن التنظيمات الاجتماعية بتكوينها الهرمي المحكم، الذي يرأسه غالباً الشيخ منتخب من طرف أعضاء بارزين في الصنف، ولا يُعدّ هذا الانتخاب رسمياً ما لم يحضر الشيخ المنتخب وأعضاء الهيئة الاختيارية [2] إلى المحكمة ويقرون أمام القاضي بهذا الاختيار ، ويقوم المعلمون بتعيين شيخ الطائفة عندما يجمعون عليه، وإلاّ فيبقى الأمر بيد شيخ المشايخ [3]. ويقوم القاضي بتنصيب الشيخ رسمياً وبإصدار حجة موقعة تسجل في سجل المحكمة، وقد شغل هذا المنصب أشخاص كانت تعينهم الدولة ويطلق عليهم كتخذا[4] ويخفف بكهية.

لشيخ الحرفة هذا صفات ومزايا عديدة، فهو يتمتع بصلاحيات ووظائف منها تنظيم العلاقة بين الدولة و أعضاء التشكيل، وتوفير المواد الخام لأعمال الحرفيين، وحل الخلافات الناشبة بين أرباب الحرف، ومعاقبة المذنب في ذلك[5].

كذلك من وظيفته أن يتدارس مع الحكومة الضرائب على طائفته، وتوزيع أموال هذه الضريبة بحسب دخل كل واحد من أعضائها.

---

[1]- **انظر الملحق رقم 04**: يوضح الهيكل التنظيمي للطائفة الحرفية في بلاد الشام ص58.

[2]- هم المتمثلون في المعلمين وكبار الحرفيين في الطائفة الحرفية.

[3]- نايف صياغة، **الحياة الاقتصادية في مدينة دمشق في منتصف القرن التاسع عشر** ، وزارة الثقافة، دمشق، 1995م، ص 112.

[4]- لفظ تركي فارسي، أصله كدخدا معناه رب الدار، أصبح فيما بعد لقباً بمعنى حاكم أو عمدة، أطلق على أمراء الأقاليم في الدويلات الإسلامية التي نشأت في الشرق، وفي العهد العثماني اعتمد هذا اللقب رسميا فأصبح يطلق بصفة أساسية على كل معاون أو مساعد للموظف الكبير في الدولة. للمزيد انظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب، المرجع السابق، ص363.

[5]- أوغلي، المرجع السابق، ص 724.

عندما يموت شيخ الطائفة يعيّن ابنه مكانه اعترافاً من الطائفة بجميل صنعه[1] .

لم يكن شيخ الطائفة أعلى رتبة في الطوائف، فهناك رئيس أعلى للطوائف يدعى " **شيخ المشايخ**"، وهذا المنصب كان دينياً أكثر منه حرفياً [2]، ويجب على شيخ المشايخ أن يكون من سلالة النبي صلى الله عليه وسلم من سلالة شريفة [3]. فهو الذي يقوم بالاحتفالات والطقوس الرمزية، وكان على علاقة وطيدة بالطرق الصوفية، فهي أهم من علاقته بالمهن والصناعات، وكانت سلطة شيخ المشايخ أعلى من سلطة شيخ الطائفة فكان بمقدوره أن يلقي بالسجن لكل من يسيء من مشايخ الحرف بل وحتى ضربه.

كان يناب عن شيخ الطائفة في عملية شدّ الأجير أو الصانع [4]ويكفله بالسهر على حسن انتظام قواعد الطائفة وأخلاق أفرادها شخص يدعى "**بالنقيب**"[5]، وإلى جانب النقيب وجد منصب منصب **اليكيت باشي**[6]. وعُيّن اليكيت باشي من قبل شيخ الطائفة الذي اشترك معه أحياناً في عملية الانتقاء لكبار أعضاء الطائفة[7].

---

[1]- نعيسة، **مجتمع دمشق**، المرجع السابق، ص 290.

[2]- نفسه، ص 290.

[3]- صياغة، المرجع السابق، ص 117.

[4]- سيأتي الحديث عنه لاحقاً.

[5]- لغة: أمين القوم ومقدمهم الذي يتعرّف أخبارهم وينقّب عن أحوالهم، أي يفتش عنها، قيل: النقيب الرئيس الأكبر وفي العصر الإسلامي أصبح هذا اللقب مركبا بعدما أضيف إليه اختصاص حامله فقيل: نقيب الجيش لمن كانت إليه إمارة الجند. وفي العصر الأيوبي أصبح بحد ذاته رتبة عسكرية، حاملها من مرتبة أمراء العشرات، انحطت هذه المرتبة في العصر المملوكي ليصبح حاملها من مرتبة أمراء الخمسات، وفي العصر نفسه أطلق لقب نقيب المماليك على الشخص الذي كان له الحكم بين المماليك والنظر فيما كان يشجر بينهم من الخصومات. والنقيب اليوم جملة الألقاب التي يحملها المدنيون والعسكريون على السواء، فهي عند المدنيين رئيس الطائفة التي ينتظم أفرادها بنقابة واحدة، كنقابة الحرفيين، ونقابة المعلمين، ونقابة الأطباء، وعند العسكريين رتبة من مراتب الجيش أعلى من الملازم الأول ودون مرتبة الرائد. للمزيد انظر: مصطفى عبد الكريـــم الخطيب، المرجع السابق، ص 425.

[6]- منصب حرفي كان يساعد نقيب الحرفة، هي كلمة مركبة من يكيت وتعني بالتركية الفتى أو الرجل الأخلاقي، وباشي تعني الرأس أو الرئيس، وكان اليكيت باشي يعين من قبل شيخ الحرفة، وكان يشترك مع شيخ الحرفة في انتقاء كبار أعضاء الحرفة، وروعي في اختيار اليكيت باشي ان يكون آهلا لعمله قادرا على القيام به على الوجه المرضي. للمزيد انظر: يوسف نعيسة، **يهود دمشق**، ط1، مطبعة الصباح، 1408-1988م، دمشق، ص59.

[7]- نعيسة، **مجتمع مدينة دمشق**، المرجع السابق، ص295.

في درجات الحرفيين نجدها مرتبة من الأدنى إلى الأعلى، فنجد الصبي المبتدئ، ثم الصانع، ويليه أكبرهم وهو المعلم.

- **المبتدئ أو الأجير**[1]:

المبتدئ [2] بالصنعة، ويكون عادة فتى يافعاً، ويتم استخدامه من قبل المعلم بموجب عقد رسمي[3]، ويتعلم الصبي من معلمه أصول الحرفة، ويتم تعليمه تعليماً أخلاقياً وبتربيته تربيةً جيدة.

قد يضطر المبتدئ لقضاء عدة سنين أحياناً دون أجر، وقد يحصل على الأجر من تبرعات العمال الأقدم منه كهبة تقدم له أسبوعيا. ويبقى المبتدئ أجيراً إلى أن يصل إلى حد إتقان الحرفة، وبذلك يصبح صانعاً[4]. وهنا يقام له احتفال تحضره هيئة الإدارة والمعلمين ويرتدي خلاله الشاب لأول مرة اللّباس الخاص بأهل الحرفة ثم يشدّون على خصره بالشدّة أو يربطون عليه المئزر، ويوجهون إليه النصائح[5].

- **الصانع**:

هو الأجير الذي أتقن حرفته واجتاز امتحاناً أمام هيئة التنظيم، ونُظِّم له حفل الشدّ، إلاّ أنه لم يصل إلى درجة المهارة التي يتمتع بها المعلم.

الصُنّاع هم عماد العمل وعليهم تقع مسؤولية تسوية الإنتاج وجودته ووفرته، ويشكل الصُنّاع العدد الأكبر من الحرفيين بالمقارنة مع عدد المعلمين والأجراء[6].

---

[1]- من استأجرته على عمل أو أعمال في مدة معينة، بأجرة معلومة، والأجير من لا يحسن الصنعة ولا يتقنها، بل هو تحت المعلم والصانع، كالخادم، إلا أنّ المعلم والصانع يلاحظونه بالتعلم والتأديب، ومشقات الخدمة، لأجل أن يكتسب صنعة. للمزيد انظر: محمد سعيد القاسمي، **قاموس الصناعات الشامية**، تح: ظافر القاسمي، ط 1، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1988، ص 35.

[2]- ويعرف في طرابلس الغرب **بنفر**. للمزيد انظر: محمد عمر مروان، **سجلات محكمة طرابلس الشرعية 1174–1271هـ/1760–1854م، دراسة في مصدر تاريخي**، الطبعة1، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2003م، ص 311.

[3]- نعيسة، **مجتمع دمشق** ، ص 293.

[4]- صياغة، المرجع السابق، ص119.

[5]- أوغلي، المرجع السابق، 726.

[6]- نعيسة، **مجتمع مدينة دمشق**، المرجع السابق، ص 726.

بمناسبة الترقية يُجرى احتفال بتنظيم موكب في الشارع، وفقاً لنظم محددة أصبحت في بلاد الشام طقوسا "**فتوة**"[1] يتخذ فيها رجال الدين دوراً مرموقاً[2].

الصناع المهرة الذين أتقنوا المهنة يصبحون معلمين بعد شدّهم، لكن عدد معين من الصناع كان يصل إلى مرتبة المعلم، في حين تبقى أعداد كبيرة منهم في مستوى الصانع إمّا لعدم إتقانه المهنة تماماً أو بسبب عدم وجود رأسمال ما يمُكنّه من إدارة المهنة مستقلاً مالياً عن الغير وفتح دكان خاص به[3].

- **المعلم**:

هو الشخص الذي بلغ ذروة المهارة في عمله وأصبح له الحق في أن يستقل بعمل خاص به، غير أنّ الحصول على درجة معلم لم يكن مقصوراً على المهارة في الحرفة فحسب، بل كان يقتضي الأمر منه أن لا يكون مَحلاً للشكوى خلال عمله في درجة الصانع، وأن يكون حَسن المعاشرة، وعمل على بذل مجهوده في تعليم المبتدئين، وكان في تعامله مع زبائنه صادقاً ودوداً، وكان كذلك ممتلكاً لرأس مال يُمكنّه من فتح دكان لممارسة حرفته[4].

يمكن تقسيم المعلمين في الحرف والصنائع إلى ثلاثة أصناف:

أ)– معلم يعمل بيده، يساعده عدد من الصناع والمبتدئين، وهو في الغالب المعلم المبتدئ الذي ليس له رأسمال كبير[5].

ب)– معلم ترك العمل اليدوي بعد أن جمع رأسمال كبير وأصبح يشرف على إنتاج عدد من الصُنّاع يشتغلون لحسابه، وهنا نوعان من المعلمين؛ نوع يملك الدكان الذي يعمل به، والنوع الآخر يستأجر المكان الذي يعمل به، وهذا النوع من المعلمين يكون تقريباً تاجراً[1].

---

(1)– الاسم العام الذي أطلق على التنظيمات الشبابية والمهنية والدينية والاقتصادية التي تشكلت في الأناضول في القرن 13م، واستمرت في المحافظة على الهوية الدينية للمجتمع من أربعة أسس رئيسية منها السماحة وقت القوة، الليونة وقت العصبية، الإيثار على النفس. كان المنتسبون للمنظمات الشبابية يجتمعون على الشيخ ويعيشون على تكية حياة جماعية بما يربحونه من تجارتهم وصناعتهم. للمزيد انظر: صابان، المرجع السابق، ص ص 160- 161.

(2)– ريمون، المرجع السابق، ص 99.

(3)– عبدالله حنا، **حركات العامة الدمشقية في القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر«نموذج لحياة المدن في ظل الإقطاعية الشرقية»**، ط1، دار ابن خلدون، لبنان، 1985م، ص 51.

(4)– أوغلى، المرجع السابق، ص 726.

(5)– عبد الله حنا، المرجع السابق، ص52.

ج)– معلم ترك المهنة نهائياً وأصبح تاجراً يبيع منتجات المهنة، وهذا بعد ربطه عدد من الصُنّاع والمعلمين به وإجبارهم على بيع إنتاجهم له وهو يقوم بتوزيعه. وهنا أمكننا القول أنّ هذا المعلم يتحول إلى تاجر يشتري منتجات الحرفة ويحتكرها[2].

[1]– عبدالله حنا، المرجع السابق، ص 52.

[2]– نفسه، ص53.

3. أهم الحرف والصناعات الشامية:

اعتنى الدمشقيون بالحرف الصناعية منذ زمن بعيد، وكانت دمشق من أوائل مدن العالم الشهيرة بصناعتها، وقد رافق اسمها العديد من المصنوعات البديعة[1].

الذي ساهم في اعتناء الدمشقيين بالحرف والصناعات هو توفر المواد الأولية، فالمواد الأولية في بلاد الشام على حصة موفورة من المواد المستخرجة من سطح أرضها وباطنها، وتسلسلت الثقافة بها في البيوت الصناعية، فكانت الأمة الخالفة تأخذ عن الأمة السالفة [2]، وذلك بتوارث الحرف والصناعات، وهذا ما جعلهم يحافظون على الصناعات وتطويرها وتحسينها على مرّ السنين.

تتميز الحرف الدمشقية بطابعها البلدي ذي الطابع البدائي بعيداً عن الشكل الفني، إلا أن الإتقان في العمل والتفاني في خدمة الحرفة والمحافظة على سريتها وعدم الغش كل هذا كان في مقدمة العمل الصناعي المتواجد في دمشق. فالحرفيون الذين يمارسون الصنعة يمتازون بالكفاءة والمهارة، وتزداد هذه المهارة كلما زاد الطلب على استهلاكها[3].

كانت دمشق من أعظم المدن العثمانية، فقد كان الاهتمام بالصناعة يختلف عن المدن الأخرى، فالصناعة الدمشقية كانت منظمة بدقة قصد التصدير. واشتهرت في بلاد الشام العديد من الصنائع، يقول الدمشقي:"إن الصنائع مختلفات ولها درجات متباينات منها ما يرفع أهله ويشرفهم ويُعينهم عند المساجلة والمكاثرة عن كريم المناسب وشريف المناصب، ومنها ما يضع المحترفين يد ابتداء الصنعة"[4].

في بلاد الشام اشتهرت صناعة الغزل والنسيج، وصناعة الأخشاب والمعادن، فالأولى توفرت بتوفر الأنعام والمواشي ولكثرة الصوف وتنوعها، والثانية أي صناعة الأخشاب والمعادن لوفرتها في الطبيعة.

---

(1)- صياغة، المرجع السابق، ص 103.

(2)- كرد علي، **خطط الشام**، ج4، مطبعة الترقي، دمشق 1926م، ص219.

(3)- صياغة، المرجع السابق، 103.

(4)- أبي الفضل بن علي الدمشقي، **الإشارة في محاسن التجارة** ، تح: محمد عبد المجيد الدوماني الحنبلي، 1988م، معجم المطبوعات 1-341، ورقة رقم 23.

- **صناعة الغزل والنسيج:**

تعدّ الحياكة والنسيج والغزل وما إليهما من الحرف المتعلقة بالنسيج من الحرف التي اشتهرت بها دمشق، وتزيد هذه الحرفة عن غيرها من حيث العمال الذين يشتغلون بها، وكيفية الإنتاج. فأعمال النسيج بلغت درجة عالية من الإتقان والجودة [1]. يقول الدمشقي:"الصناعات مضمومة بعضها إلى بعض"[2]. فمهنة الغزل والنسيج لها عدد كبير من الصناع، فكما قال الدمشقي أن أعمال النساجة تحتاج إلى "الكتان بعد البل والتقطين والنفض والدق، ثم المشط والغزل، ثم الطبخ ثم سائر أعمال النساجة، ثم إلى الصفر والقصارة والخياطة حتى يصلح أن يكتس" [3]. فقد تعددت أنواع الحرف المتعلقة بالنسيج والغزل حتى تتوصل إلى الشكل النهائي، فبلغت حوالي 70 حرفة يمتهنها الناس[4].

كانت أعمال النساجة والحياكة في دمشق راقية في معظم ما عرف من أدوار الارتقاء[5]، حيث يقال أنّ كلمة دمقس مشتقة من اسم دمشق إذ اكتسبت دمشق شهرة في جودة صناعة النسيج والثياب والأزياء، وهذا منذ أيام الأندلس، حيث تفننت في النقوش والرسوم وأصناف النسيج وأنواعه وألوانه. وبهذا التفنن في هذه الحرفة حتى عندما دخلت المنسوجات الغربية للسوق الدمشقية لم تفقد المنسوجات الدمشقية من قيمتها وذلك لجودتها العالية[6].

من الصناعات النسيجية عند أهل الشام صناعة أنواع الحرير والشال، فقد كانت دمشق تفتخر بصناعة الشقق الحريرية والقطنية وهي عبارة عن قماش محكوك طوله تسعة أذرع في عرض ذراع، وتفننوا في نقشه وصبغه[7].

من المنسوجات الرائجة أيضا صناعة العباءات على اختلاف أنواعها، واشتهرت حلب بالمناديل الحريرية[8].

---

(1)- صياغة، المرجع السابق، ص 103.

(2)- الدمشقي، المصدر السابق، ورقة. ر3.

(3)- نفسه، ورقة. ر3.

(4)- صياغة، المرجع السابق ، ص 104.

(5)-كرد علي، المرجع السابق، ص 220.

(6)- صياغة، المرج ع السابق.104.

(7) -كرد علي، المرج ع السابق، ص 224.

(8) -نفسه، ص 225.

من الصناعات التي كانت لها شهرة واسعة في دمشق صناعة المشدات المصنوعة من الصوف، والغزل ذو الطاقين لشدّ الخصور، وكذلك المآزر المعدّة للحمامات، والمناشف والشراشف المستعملة للفرش والنوم[1].

كذلك من أشهر الصناعات في بلاد الشام غير الغزل والنسيج نجد:

- **الدباغة وصناعة الجلود:**

كان للدباغة[2] شأن مهم في الصناعة، فهي تصنع من الجلود؛ الأحذية والسروج والمطارح، والمقاعد والقِرب، وتعدّ هذه الصناعة من أهم الصناعات في دمشق وحلب[3].

- **النجارة وصناعة الأخشاب:**

كان النجارون بدمشق يقومون بأعمال النجارة الجيدة، ولم يكتف الصناع في نجارتهم بأخشاب الشام على كثرتها، بل أخذوا يجلبونها من البلاد الأجنبية، وصنعوا منها الأبواب، وأثاث الغرف والمناضد، إلى غير ذلك. وقد اعتنى النجارون بصناعتهم حتى ضاهت الصناعات الأوروبية بل فاقتها اتقاناً[4].

يختلف أصحاب هذه الحرفة في الصنعة، فمنهم من يصنع آلات العربات باختلاف أنواعها، ومنهم من يصنع آلات الفلاحة كالعصي والمجارف، ومنهم من يعمل ما يلزم لتعمير البيوت [5]. كالأثاث المنقوش والمطعم بالصدف، وهذا يعرف بالموزاييك أي فن تطعيم الخشب بالصدف.وحرفة النجارة مهنة من ضروريات العمران، تنتج ربحا جيدا، يقتات منه أناس كثيرون.

---

(1)- صياغة، المرجع السابق، ص 105.

(2)- وهي مهنة الدباغ، في اللغة والعرف اسم لمن يتعاطى حرفة الدباغة وهي تنظيف الجلود، وإزالة الشعر عنها بما يزيلها إما بآلة أو بوضع شيء فيها. للمزيد انظر: القاسمي، المرجع السابق، ص 140.

(3)- كرد علي، المرجع السابق، ص 227.

(4)- القاسمي، المرجع السابق، ص 94.

(5)- نفسه، ص 479.

- **صناعة الحدادة والمعادن:**

لقد أتقن العديد من الدمشقيين صناعة الحديد، وتفننوا فيها أكثر من الغرب، واشتهرت مدن الشام بهذه الصناعة منذ أن عرف التاريخ القيانة أي صناعة السلاح، وذلك لأن الحديد كان يكثر في الجبال لاسيما في لبنان وحلب [1]. وصنع أهالي دمشق مختلف الصناعات من الحديد مثل الخناجر والمغازل و الأسياخ، وآلات الزراعة والحراثة، والأبواب والأقفال، كذلك نجدها في الأدوات المنزلية كالملاعق والقدور[2]. ويقول القاسمي أن الحدادة من الصنائع الشاقة التي قيّض الله لها أناسا[3].

- **صناعة الزجاج:**

من أهم الصناعات التي اختصت بها بلاد الشام منذ القديم صناعة الزجاج، فكان يُعمل من الزجاج المصابيح والأكواب، والأواني على اختلاف أنواعها[4].

كان في دمشق معامل كثيرة لصنع الزجاج، وأورد القاسمي أن حرفة وصنعة الزجاج شريفة رائجة، تنتج ربحا وافرا[5].

- **الدهان[6]:**

للدهان شهرة واسعة في دمشق، فكان يدهن الخشب والحجر، يقول كرد علي أنّ من يدخل قاعة من قاعات الشام في دمشق أو حلب يرى الألوان الزاهية الباهرة كأنها نقشت الآن[7].

كان من أصباغ أهل الشام الأصفران أي الزعفران والأرجوان[8].

---

(1) -كرد علي، المرجع السابق، ص 235.

(2)- صياغة، المرجع السابق، ص 108.

(3)- القاسمي، المرجع السابق، ص 94.

(4)-صياغة، المرجع السابق، ص 109.

(5) - القاسمي، المرجع السابق، ص 165.

(6) - ويقال له المراش، وهي مهنة تطلق على من يزين ويزخرف وجوه الجدران والحيطان بالصبغ والنقوش، بالألوان التي يستحسنها من يريد تزيين حيطان بيته أو محله. للمزيد انظر: نفسه، ص148.

(7) -كرد علي، المرجع السابق، ص 241.

(8) — نفسه، ص 241.

وتعتبر مهنة الدهان حرفة لا بأس بها و هي رائجة في بلاد الشام[1].

- **صناعة الفخار والقيشاني[2]:**

اشتهرت بلاد الشام بصناعة الفخار والقيشاني، وقد ازدهرت هذه صناعة القيشاني في بلاد الشام في بداية القرن 16م، وترعرعت بعد ذلك حتى وصلت إلى درجة من الإبداع، فكانت ترصف به الجدران والمحاريب والقماقم والزهريات والقلل وإلى غير ذلك[3].

من الصناعات التي كانت تجود في دمشق وحلب من دون سائر بلاد الشام صناعة القيشاني، وكان يصنع من الرمل الأبيض والجبس يخلطان معا ويفرغان في قوالب على الشكل المطلوب. وتكتب على أسطحها آيات قرآنية وأحاديث أو أشعار، أو ترسم عليها نقوش مختلفة بمواد ثابتة، ويذر عليها مسحوق الزجاج وتشوى في تتور بمواد ثابتة، فيسيل الزجاج وتكسوها قشرة رقيقة تقيها من الغوائل والمؤثرات زمنا طويلا، وتظهر النقوش والكتابات زاهية بألوانها الطبيعية.على الأغلب كانت صناعة القيشاني خاصة بأهل البيت يتوارثون صنعها خلفا عن سلف[4].

---

(1)- القاسمي، المرجع السابق، ص 149.

(2)- هو أفخر أنواع الخزف الصيني الملون، ويعود نسب أرقى أنواع بلاطات الخزف إلى مدينة قاشان الإيرانية التي اشتهرت بصناعتها، للمزيد انظر: كرد علي، المرجع السابق، ص 241.

(3)- نفسه، ص 241.

(4)- نفسه، ص ص 141 -242.

4. الأسواق في بلاد الشام:

اشتهرت بلاد الشام بصناعتها اليدوية التقليدية المختلفة المتميزة بالجودة والإتقان، ولتنوع الحرف الدمشقية فقد كان تقريبا لكل حرفة سوق خاص بها[1].

لم يكن بناء أسواق دمشق من نتاج العهد العثماني، بل كانت في معظمها متواجدة قبل عهود سابقة، لكن أمكننا القول أنّه أدخلت عليها بعض التعديلات في اختصاصها، أو عدلت خططها.

كانت الأسواق في دمشق تضم:

البادستان[2]: وهو عبارة عن سوق مسقوفة وموقع آمن للسلع الثمينة. ونجد أيضا

الخانات[3]: وتسمى باللغة التركية كرفان سراي، وهي في آن واحد مستودعات تخزين، وأماكن لتجارة الجملة المتخصصة، ونزل مخصصة للمسافرين والتجار[4].

كانت الأسواق منشآت اقتصادية غير مسقوفة بصفة عامة، ومن صفاتها المميزة التخصص المهني الشديد، وكان الحرفيون الذين يمارسون نفس النشاط يتجهون إلى التجمع في مكان واحد وهذا سمة تقليدية للمدن الإسلامية[5].

يقول نعيسة في كتابه مجتمع مدينة دمشق أنّ أفضل كتاب عالج موضوع الأسواق هو كتاب نزهة الرفاق في شرح حال الأسواق ليوسف بن عبد الهادي، حيث استطاع إحصاء 150 سوقا في دمشق ونواحيها، لكن الثابت منها هو 139سوق لأنه كرر بعض الأسواق[6].

---

(1)- صياغة، المرجع السابق، ص 105.

(2) هو تحريف لكلمة باز سنان، أي المكان الذي يشترون منه البز وهو القماش. للمزيد أنظر: ريمون، المرجع السابق، ص174.

(3)- جمع خان، مكان مؤلف من غرف لمبيت الغرباء واستقبال البضائع وبيعها، وبعض الخانات كانت مقراً للبعثات التجارية الأوروبية، واشتهرت حلب بعدد خاناتها وجمالها واتساعها نظراً لمكانة المدينة الاقتصادية، وغالباً ما يتألف الخان من طابقين بأروقة تتوزع حولها الغرف ومسجد. للمزيد أنظر: خير الدين الأسدي، **أحياء حلب وأسواقها** ، تح: عبد الفتاح روّاس قلعة جي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1974م، ص ص 401- 402.

(4)- منتران، المرجع السابق، ص 227.

(5)- ريمون، المرجع السابق، ص 180.

(6)- نعيسة، **مجتمع مدينة دمشق**، المرجع السابق، ص 103.

من بين الأسواق[1] نذكر:

-سوق الذراع: خلف الجامع الأموي، من جهة القبلة يباع فيه البز من الحرير والكتان والثياب الرفيعة والنفيسة.

-سوق الصاغة: شرقي سوق الذراع، يباع فيه الذهب.

-سوق الدهشة: شرقي الجامع الأموي، يباع فيه حاجيات النساء من الثياب وغيرها.

-سوق الحرير: عند الجامع القبلي، يباع فيه الحرير.

-سوق العنبرانيين: عند باب الجامع القبلي، يعمل فيه العنبر ويباع فيه.

من الأسواق أيضا نجد سوق الوراقين، سوق النجارين [2]. وقد أقيمت خلال العهد العثماني مجموعة من الأسواق شيدها بعض الولاة، مثل سوق السنانية نسبة إلى سنان باشا ؛ والذي أسسه في المنطقة التي يتفرع فيها الطريقان التجاريان الرئيسيان لدمشق والشام: طريق دمشق الحجاز وطريق دمشق القاهرة، والذي يحتوي على 85 دكان ومخزن وهو من أهم الأسواق في دمشق [3]. هذا إلى جانب الأسواق المؤقتة منها سوق الجمعة، وسوق الأحد[4].

لقد كان هدف الطوائف الحرفية الإشراف المهني على أعضائها، فهي تشرف على عملية التصنيع، وعلى نوعية المنتجات، كما أنها كانت تهتم بحل النزاعات بين العملاء، فقد كان من مهامها المحافظة على الأمن للطائفة الحرفية، كذلك من مهامها الربط بين السلطة وبين سكان المدن. فالطائفة الحرفية خلية إدارية تساعد السلطة على الإحاطة بالرعايا.

---

(1)– **انظر الملحق رقم 05**: يوضح خريطة أسواق دمشق، ص59.

(2) –حبيب زيات، **نزهة الرفاق في شرح حال الأسواق(بدمشق)** ، مجلة المشرق، ع: 37، ر: 1–2–3، د .د 1939م، ص 22.

(3)– محمد الأرناؤوط، معطيات عن دمشق وبلاد الشام الجنوبية في نهاية القرن السادس عشر، ط 1، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، 1993، ص 85.

(4)–نعيسة، مجتمع مدينة دمشق، المرجع السابق، ص ص 98 99.

المبحث الثاني: نظام الطوائف الحرفية في مصر.

1. نشأة الطوائف الحرفية بمصر.
2. البنية التنظيمية للطوائف الحرفية في مصر.
3. أهم الحرف المصرية.
4. أسواق الحرفيين في مصر.

عرف المجتمع المصري تنوع في التركيبة السكانية خاصة في أواخر القرن 15م وبداية القرن 16م، فهذا التنوع والامتزاج مآله وجود المماليك في المنطقة منذ زمن، ويُعدّون العنصر الفعال في المدينة لامتلاكهم مناصب عليا داخلها وبذلك أصبحوا أكثر بذخاً وترفاً .

أما العنصر الثاني فيمثله العثمانيون الذين دخلوا إلى مصر عام 923هـ/1517م على يد السلطان سليم الأول بصفته حامي للدين الإسلامي وللمسلمين، وبهذا أصبحت مصر إيالة (ولاية) عثمانية، وإدارة شؤونها سواءً الداخلية أو الخارجية تتولاها الإمبراطورية العثمانية، فمعظم حكام مصر العثمانية كانوا من الأناضول، يخضعون خضوعاً كاملاً لأوامر السلطان العثماني .

أما العنصر الثالث والأساسي في المنطقة والذي يمثل الفئة الفاعلة لنمو المجتمع المصري وازدهاره هم المصريون في حدّ ذاتهم، فهم رعايا يمثلون غالبية السكان، والفئة الأكثر إنتاجاً مقارنة بسابقتها سواءً في المجال الزراعي من خلال مختلف الأنشطة، فمعظمهم يعملون كفلاحين لامتلاكهم الأراضي، أو في المجال الصناعي وتميزهم بالصناعات اليدوية القديمة، لهذا تميّز الإنتاج الصناعي بالطابع الحرفي .

1. نشأة الطوائف الحرفية في مصر :

يعود ظهور الأصناف الحرفية والحرفيين بصفة عامة في المجتمع المصري إلى العصر الروماني، فعلى الرغم من تطلع الفرد دائماً إلى الاستقرار؛ إلا أنه ظلّ متميزاً عن غيره بالطابع الفردي في مزاولة الحرف، والتعاون حين نشأ بين أفراد البيت الواحد، ثم بين الأسر المجاورة وبعدها تطور إلى القبائل والمجتمعات القريبة، نشأت الحاجة إلى تنظيم التعامل في ظلّ التطور الطبيعي، وكثر التبادل في المنتجات وتميز البعض عن البعض الآخر بما ينتجه وكان تطوراً طبيعياً لتفرق المحترفين إلى طوائف أضحت فيها الحرف متوارثة [1].

لقد كان للصناعة المصرية مكانة رفيعة قبل الفتح العثماني وهذا راجع إلى نظام الطوائف أو الأصناف الذي تبنته معظم الأسر الحرفية المصرية، والذي كان ذو طابع وانتماء ديني. فمعظم شيوخ الطرق الصوفية كانوا أصحاب حرف وصنائع [2]، فالحرف في مصر كانت موجودة قبل التواجد

---

[1] – صلاح أحمد هريدي، **الحرف والصناعات في عهد محمد علي** ، تق: عمر عبد العزيز عمر، دار المعارف، الإسكندرية، 1985م، ص 14.

[2] – محمد فهمي لهيطة، **تاريخ مصر الإقتصادي في العصر الحديث**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1944م، ص 29.

العثماني. يقول ابن إياس: "توجه إلى إسطنبول جماعة من البنائين والنجارين والحدادين والمرخمين والمبلطين والخراطين والمهندسين والحجارين " وذلك بطلب من السلطان سليم الأول [1]. وهدف السلطان من أخذ هؤلاء الحرفيين هو إنشاء مدرسة "جامعة" في إسطنبول تشبه جامعة الغوري بالقاهرة[2].

الصناعة في مصر العثمانية كانت صناعة يدوية ذات إمكانيات بسيطة، سواءً في المدن أو في الأرياف ولقد ساعدت عدّة عوامل على نجاحها وتوسعها داخل المدن وخارجها، أهم هذه العوامل يتمثل في قرب الأسواق من مكان ممارسة الحرفة وسهولة توزيع المنتجات داخل السوق المحلية [3].

[1] – محمد بن أحمد بن إياس الحنفي المصري، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ج3، مطابع الشعب، 1960م، ص1125.

[2] – أحمد المرسي الصفصافي، **إستانبول عبق التاريخ ... روعة الحضارة**، ط1، دار الأفاق العربية، القاهرة، 1999م، ص62.

[3] – لهيطة، المرجع السابق، ص29.

2. البنية التنظيمية للطوائف الحرفية في مصر :

منذ أيام الفراعنة كان المصريون يلتفون حول رئيس الصنعة من أجل الاستفادة منه ومن خبرته في المجال الصناعي، وظل هذا النظام قائماً حتى مع الدخول العثماني مع شيء من التجديد، إذ أصبح لأصحاب الحرف منظمات وهيئات تسمى "الطوائف الحرفية "، والتي تضم الأشخاص الذين لهم علاقة بالحرف ومختلف العاملين في المهن والحرف من عاملين وصناع ومبتدئين ورؤساء وشيوخ، وما ميّز الطوائف الحرفية وجود المحتسب الذي يستعين في عمله بخبراء يختارهم من بين أرباب الصناعات والتجار. فالمحتسب من حقه الإشراف على المواد الغذائية، ويقوم بتعيين عريف لكل حرفة والذي يختاره من بين أفراد المهنة نظراً لمميزاته وأهمها أن يكون على دراية بأسرار الحرفة وخباياها، وتمتعت هذه الأصناف باستقلال شبه ذاتي في إدارة شؤونها؛ فأعضاء كل طائفة يُكِنُّون ولاءً للسلطان والذي يغلب عليه الطابع الديني أما ولاؤهم لطائفتهم فكان ذو طابع مادي اقتصادي واجتماعي[1].

كان للأصناف الحرفية قانون خاص بها، حيث لا يسمح بالعمل في نفس المجال الحرفي إلا بعد أن يخضع الشخص لمراسيم خاصة بالحرفة وهذا بحضور أعضاء الطائفة وشيخها وبحضور القاضي، والذي يظهر عمله عند ترشح أحدهم لمنصب شيخ الطائفة [2].

يقوم نظام الطوائف على ضرورة وجود هيئة أساسية والتي تعدّ حلقة وصل في الوسط الحرفي.

- **الشيخ:**

أصبح لكل طائفة "راع"أو ولي "بير" ويعدّ هو صاحب الحرفة وأول من بدأ في احترافها والعمل فيها، ويقوم بالإشراف عليها، ولقد خضعت مختلف الحرف إلى إدارة الشيخ الذي ينتخب من طرف

---

[1]- عبد العزيز محمد الشناوي، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها** ، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980م، ص 685.

[2]- عبد الرزاق إبراهيم عيسى، **تاريخ القضاء في مصر 1517م-1798م** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998م، ص185.

كبار الحرفيين[1]. كما عرف هذا النظام وجود شيخ مشايخ الحرفة كالشيخ محمد بن محمد الشريف الذي كان ينتمي إلى الطريقة الرفاعية[2]، الذي حثّ أتباعه على كسب رزقهم بأيديهم[3].

الشيخ كان يرشحه أعضاء الطائفة وفي حالة ترشح أكثر من شخص لمنصب المشيخة يتدخل القاضي إذ يقوم بإجراء امتحان للمرشحين ويختار الأجدر من بينهم مثل ما حدث عند تعيين شيخ سوق العطارين، حيث ترشح كل من محفوظ الزينيخي والبعض رشح إبراهيم بن الجمال فقام قاضي عسكر بإحضار بعض الأنواع من العطور من الدكاكين وعرضها على المرشحين لمعرفة اسم العطر وأهم مكوناته، وكان ذلك أمام أهل السوق فلم يتمكن كلاهما من معرفة نوع العطر ومحتوياته، وكان في المجلس الشيخ نور الدين علي ابن الشيخ نور الدين؛ فعرضت عليه أنواع العطر فتمكن من التعرف عليها وتمكن من الإجابة على أسئلة القاضي، وليتأكد القاضي من قدراته وإمكانياته اختبره في بعض أنواع الأعشاب وفي أي مجال تستعمل، إلا أنه أحسن الجواب وأظهر جدارته لينصب من طرف القاضي شيخا على تجارة سوق العطارين[4].

قرار تعيين الشيخ في منصبه[5] يكون على أساس حسن سيرته وعفته واستقامته وأمانته، ومدى معرفته بأحوال الطائفة وقوانينها وكان العلماء في بعض الأحيان يتدخلون في الأمر من أجل ترجيح الكفة لصالح أحد المرشحين لمشيخة الطائفة، ويكون ذلك بأن يشهدوا له بالأخلاق الحميدة وبأمانته لتوريثه هذا المنصب[6].

يكمن دور الشيخ (الرئيس) في التوسط بين أرباب الصنائع المختلفة، وذلك من أجل إيقاف المشاحنات التي تنشب بين أبناء طوائفهم، كما يعمل على المساهمة في إدارة شؤون المدينة عن طريق فرض غرامات مالية على الأطراف المتخاصمة وجمع الضرائب على الحرفيين ويقوم بالتوسط لهم مع

---

[1] – صلاح أحمد هريدي، **الحرف والصناعات**، المرجع السابق، ص15.

[2] – وهي إحدى الطرق الصوفية مؤسسها أحمد بن علي بن يحي الرفاعي الحسيني أبو العباس بالعراق وإنتشرت في المدن العثمانية. للمزيد أنظر: توفيق الطويل، **التصوف في مصر إبان العصر العثماني**، مكتبة الأداب، مصر، د.ت، ص 71 ومابعدها.

[3] – خالد زيادة، **كاتب السلطان حرفة الفقهاء والمثقفين**، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، 1991م، ص83.

[4] – عبد الرزاق إبراهيم عيسى، المرجع السابق، ص186.

[5] **انظر الملحق رقم 06**: يوضح وثيقة تمثل:تعيين شيخ الطائفة الحرفية بحضور القاضي، ص60 .

[6] عبد الرزاق ابراهيم عيسى، المرجع السابق، ص 186.

السلطة من أجل التخفيض [1]. ويتمتع الشيخ أو الكتخدا بصلاحيات ووظائف مختلفة، من بينها تنظيم العلاقة بين السلطة الحاكمة وأرباب الحرف بالإضافة إلى توفير المواد الخام للحرفيين، وكان للشيخ نائب يعرف **بالنقيب** الذي يختاره حكام المنطقة التي يقيم بها أو السلطة العليا، فهو مسؤول عن الأمور الداخلية كالحدّ من الجدال القائم بين أرباب الحرف وكان نشاطه القيام بتنظيم العلاقة بين الحرفين والكتخدا وتقسيم مواد الخام والانشغال بأمور النقابة [2].

- **المعلم** "أسطى":

لقب يطلق على أصحاب المهن والحرف، فيقال معلم نجارة ومعلم حدادة، أي شخص مَهِرَ في حرفة ما وأصبح في إمكانه تعليمها للآخرين، ويعتمد عليه في تصريف شؤونها ومعرفة أدق الأشياء عنها وسُبل التصرف في مشاكلها الفنية، وفي بعض الأماكن يطلق على المعلم لقب أسطى وهذا يكون نادرا، فلفظ معلم هو الأكثر شيوعا في الوسط الاجتماعي؛ وإذا تدرجنا في مراتب الترقي الحرفي نجد المعلم هو الحلقة الرئيسية في المجموعة، فقبل أن يصبح معلما كان قد اجتاز مرحلة المبتدأ الصبي[3]. فيبدأ المتعلم بالتدرب على الحرفة من خلال تلقيه فُنونها وأسرارها فيصبح معلما في الصنعة وبإمكانه إعادة إنتاج ما تعلمه [4].كما ينتخب من بين المعلمين الأكفاء الشيخ الذي يصبح رئيس للحرفة.

- **العريف** "الأجير":

لقب يطلق على العامل الذي يعيش عند المعلم والذي بدوره مكلف بإيوائه وإطعامه، وفي غالب الأحيان يكون لكل معلم حرفة عريف لا أكثر، يظل العريف عند المعلم مدة ثلاث إلى خمسة سنوات، ليس من حقه مغادرة معلمه قبل انقضاء هذه المدة وفي حالة مغادرته لمعلمه لن يجد معلم حرفة أخرى يستقبله، وليس على المعلم طرده بدون سبب لهذا على العريف أن يحسن تصرفاته فبإمكانه أن يصبح معلما إذا استوعب خصوصيات الحرفة وتمتع بأخلاقياتها فيمكنه طلب الإذن

---

(1) – هريدي، **الحرف والصناعات**، المرجع السابق، ص15.

(2) – أوغلي، المرجع السابق، ص ص 724-725.

(3) – لهيطة، المرجع السابق، ص 30.

(4) – زيادة، المرجع السابق، ص64 .

بالانفصال عن معلمه ومزاولته للحرفة وحده وبموافقة المعلم، ويكون ذلك في احتفال كبير يحضره شيخ الطائفة وأرباب الحرفة المتواجدين في مختلف الأسواق [1].

- **الصبي** "المبتدئ":

يمثل أدنى درجة في الهرم الحرفي والذي يعدّ قاعدة الطائفة، وهو الطفل الذي يلتحق بمعلم حرفة قصد تعلمها وامتهانها، إذ يتبع خطوات معلمه بغرض التدرب واستيعاب مقومات الحرفة. والمتفق عليه أنه ليس هناك سن معين للالتحاق بالحرف والصناعات، إلا أنه يفضل أن يكون المتعلم صغير السن، وبذلك يستطيع الصمود والصبر في وجه الصعوبات التي تواجهه في مسار تدربه وهذا لا يعنِ أنه ممنوع على الكبار تعلمها،كما أنه ليس هناك مواصفات دقيقة خاصة بالصبي حتى يتمكن من الدخول إلى الميدان الحرفي، سوى السلامة البدنية وتمتعه بالصحة الجيدة فهناك بعض الحرف لا يمكن للشخص أو الصبي المريض مزاولتها وتعلمها مثل النجارة والحدادة وصباغة الجلود وغيرها، وذلك حفاظا على صحته، كما يفضل أن يدخل للحرفة من له صلة بها كابن الحرفي مثلا ويأتي بعده من هو في حاجة ماسة للرزق وبهذا يضمن صاحب الحرفة تمسكه بها ويحافظ على الاستمرار في التدرب عليها وتعلمها، ثم يأتي بعده من ترك الدراسة وتدرب سابقا في حرفة ما. وفي أغلب الأحيان الوالد هو الذي يقوم بالتحدث مع صاحب الحرفة من أجل أن يستقبل ولده وتعليمه[2].

يقوم ومنذ البداية الصبي بملازمة معلمه كظله داخل الورشة يلبي طلباته [3] من إحضار الطعام والماء، حتى أنه يقوم بتنظيف مكان العمل كذلك القيام بأعمال لا تتطلب خبرة ويتساوى في ذلك جميع الصبيان، فلا فرق بين ابن المعلم أو قريبه أو من ليس له أي صلة بالمعلم وحتى بأحد العمال، وعدد الصبيان محدود وعلى المعلم مراعاة ذلك. الصبي عند دخوله إلى المحل أو الورشة ليس له أي سند عليه أن يحذر الخطأ في تلبيته للأوامر؛ كما تبلغ مدة تعلم الصبي للحرفة حوالي سبع سنوات، ثم يدخل إلى مرحلة اجتياز الامتحان النهائي فإذا نجح يترقى إلى درجة العريف[4].

---

[1] – لهيطة، المرجع السابق، ص 30.

[2] – لهيطة، المرجع السابق، ص 30.

[3] – **انظر الملحق رقم 07** : يوضح وثيقة تمثل: طلب تعلم صبي حرفة عند إسكافي والتي تحتوي على بعض الشروط، ص61.

[4] – لهيطة، المرجع السابق، ص 30.

الصبي لا يمكنه أن ينفرد بالحرفة التي تعلمها، ويقوم بفتح دكان لمزاولتها حتى يدخل مرحلة العريف ويسمح له المعلم وأرباب الحرفة بذلك كما أن الصبي لا يتقاضى أي أجر من المعلم عكس العريف الذي له راتب شهري.

تتميز مختلف المجموعات الحرفية بزيّ خاص لأعضاء الحرفة الواحدة ليختلف عن غيره من الحرفيين، اللباس الذي يلبسه الدباغون يختلف عن الذي يرتديه الجزارون، كما أنه هناك اختلاف في اللباس داخل الحرفة الواحدة، فاللباس الذي يلبسه الشيخ يختلف عن الذي يلبسه المعلم والصبي ونفس الشيء بالنسبة للمعلم والصبي، وهذا من أجل التمييز بين مختلف أعضاء الحرفة. وإنَّ هدف صاحب الحرفة من مزاولة الصنعة وتعليمها للآخرين ليس الحصول على الرزق فقط، وإنما توريث الحرفة للأبناء والأحفاد حتى صنعته لا تزول داخل المجتمع، ولهذا معظم الحرف يغلب عليها الطابع الوراثي إذ أنَّ أعضاء كل حرفة كانوا ينتمون إلى مجموعة من الأسر المعروفة باحتكارها لهذه الحرفة ويقطنون في منطقة سكنية واحدة. ويُعدّ نظام الطوائف أصلح الأنظمة للصناعات في العهد العثماني، فالنظام حافظ على أخلاقيات المهن المختلفة وذلك من خلال الحد من حرية التوسع في المصانع والقضاء على الغش في المنتجات داخل الأسواق[1] .

الحرفة تتطلب كفاءة في اليد العاملة وكل صنعة تلتزم بتقاليدها وعاداتها بالإضافة إلى الانتماء الديني الذي جعلها بعيدة كل البعد عن حركات العصيان والتمرد[2].

إنّ من أسباب ظهور الطوائف الحرفية هو المحافظة على سرية الصناعة وتقاليدها والدفاع عن مصالحها والعمل على رعايتها وحماية أفرادها[3].

[1]–لهيطة، المرجع السابق، ص31.

[2] – أحمد طبين، **تاريخ المشرق العربي المعاصر**، المطبعة الجديدة، دمشق، 1986م، ص 11.

[3]– **انظرالملحق رقم08**: هيكل تنظيمي للطوائف الحرفية في مصر، ص 62.

3. أهم الحرف المصرية:

لقد كان للعقيدة دور في تصنيف الطوائف الحرفية، إذ كان للحرفيين الذين يعتنقون ديانة واحدة يُكوِنّون طائفة خاصة بهم، فالمسلمون كانت لهم حرف خاصة تتماشى والدين الإسلامي، إذ كانوا يقومون بالحرف البسيطة كالخياطة والنسيج ويعتمدون على الحيوانات المختلفة كمادة أولية لمنتجاتهم الحرفية، أما المسيحيين فشكلوا بدورهم طوائف خاصة بهم ومارسوا فيها أنواع مختلفة من الحرف صناعة الحلي (الذهب والفضة)، والأمر نفسه بالنسبة لليهود الذين احترفوا صناعة الخمور[1].

فمعظم الصناعات المصرية التي كانت متواجدة أيام المماليك ظلّت قائمة في العهد العثماني ومن أهمها:

الصناعات الغذائية: :

- حرفة الدقاق (القصار): وهو الذي يقوم بطحن القمح ليصبح دقيق كذلك الأمر بالنسبة للذرة والأرز، ومصطلح الدقاق يطلق أيضا على بائع الدقيق بأنواعه، ولهذه الصنعة رواج كبير في مصر وهذا راجع إلى وجود مساحات زراعية كبيرة صالحة لزراعة الحبوب خاصة على ضفاف نهر النيل[2].

- حرفة الحلواني: وهو صانع الحلوى وبائعها وهذه الحرفة كانت متواجدة في مصر قبل الفتح العثماني إلا أنها عرفت ازدهاراً كبيراً بعد الفتح من خلال ظهور أنواع مختلفة من الحلويات التي أحضرها العثمانيون للمنطقة [3].

- حرفة اللّبان: هو بائع اللبن ومشتقاته من الأجبان، وهي من أشهر الحرف في مصر وهذا راجع إلى توفر المادة الأولية المتمثلة في الثروة الحيوانية[4].

---

[1]- هريدي، المرجع السابق، ص18.

[2] سعيد مغاورى محمد، **الألقاب وأسماء الحرف والوظائف في ضوء البرديات العربية** ، ج1، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2000م، ص402.

[3]- ريمون، المرجع السابق، ص49.

[4]- سعيد مغاوري محمد، المرجع السابق، ص ص 749-750.

– حرفة الجزار: مهنة يقوم صاحبها بذبح الحيوان وبيع لحمه وهي من صناعات الأشراف، والجزارون يتجمعون في منطقة واحدة بسوق المدينة مثل غيرهم من أصحاب الحرف، كما يشترط على الجزار أن يكون مسلما يذكر اسم الله عند ذبح الحيوان، وأن يطعم الناس لحم حلال [1].

– حرفة الزيات: وهو عاصِر الزيت وبائعها وصاحب المعصرة، إلا أن المصريين لم يهتموا بها كثيرا على عكس أهل الذمة، وأهم الزيوت التّي اشتهرت بها مصر، زيت الزيتون، زيت السلجم[2]، زيت الفجل (تستخرج من نبات عشبي)، زيت السمسم[3]، وهناك زيوت عطرية كزيت الياسمين ومن أشهر المدن التي إشتهرت بصناعة الزيوت نجد أسيوط[4].

الصناعات الكسائية (الملابس):

– صناعة النسيج: يقوم أصحاب هذه الحرفة بنسج الأقمشة القطنية والصوفية والكتانية، وتعدّ هذه الحرفة أكثر انتشاراً في مصر، وكانت صناعة يدوية [5].

– حرفة القزاز: وهو صانع الملابس الحريرية، وكلمة القزاز كانت تطلق عموما على مربي دودة القز التي تنتج الخيوط الحريرية ولقيت هذه الحرفة رواجا كبيرا في الأسواق المصرية[6].

– حرفة الإسكافي الخفاف: وهو صانع النعال وبائع الأحذية، ولقد أضاف أصحاب هذه الحرفة الخيوط الذهبية والملونة على النعال من أجل إعطاء لمسة جمالية لمنتجاتهم، ولقد اشتهرت هذه الحرفة في مدينة الإسكندرية ومحافظة أسيوط، وهذه المنتجات كانت تصدر خارج مصر خاصة بلاد الشام[7].

---

[1]– مصطفى بركات، **الألقاب والوظائف العثمانية، دراسة في تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية،1517م . 1924م**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص253.

[2]– نوع من اللفت يستخدم زيتها للإنارة، للمزيد أنظر: سعيد مغاوري محمد، المرجع السابق، ج1، ص 452.

[3]– نوع من النبات تستخرج من بذوره الزيت ويوجد في أسيا وفي قسم من البحر المتوسط وفي بلاد المغرب يعرف بالجلجلان، للمزيد أنظر: سعيد مغاوري محمد، المرجع السابق ، ج1، ص453 .

[4] نفسه، ص 455.

[5]– عبد السلام عبد الحليم عامر، **طوائف الحرف في مصر** 1805م–1914م، الهيئة المصرية العلمية للكتاب، د ب ن، 1993م، ص14 .

[6]– سعيد مغاوري محمد، المرجع السابق ،ج2، ص 689.

[7]– سعيد مغاوري محمد، المرجع السابق ، ج1، ص 119 ومابعدها.

الصناعات الخاصة بالبناء:

-حرفة الحجار: وهو من يقوم ضرب الطوب وبتقطيع الحجارة وتعديل شكلها من أجل استعمالها في البناء، كذلك تطلق هذه التسمية على بائعي الحجارة [1].

الصناعات العلمية:

- حرفة الصيدلاني: هو صانع الأدوية من مختلف الأعشاب، وبائع العقاقير الطبية، ولقد اشتهرت مدن مصر بصنع بعض الأدوية والمراهم لعلاج العديد من الأمراض خاصة الجلدية منها[2].

- حرفة الحجام: تعني المصاص أي إخراج الدم الفاسد من الجسم والحجامة كانت تستعمل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم[3].

- حرفة العطار: هو صانع وبائع العطور، معتمداً على أنواع مختلفة من الورد كمادة أولية[4].

نلاحظ أنه يمكن أن يقوم الحلاق بحرفة التعطير والتطبيب وختان الأطفال والحلاقة وبائع للأعشاب والقيام بالحجامة في وقت واحد.

صناعات مختلفة:

لقد عرفت مصر كذلك صناعة البسط والحصر، إذ أنّ السلطان سليمان القانوني أخذ مجموعة من الحصر لفرش الجامع الأموي بدمشق[5].

- حرفة الصائغ: وهو الذي يصنع من الذهب والفضة أنواع مختلفة من المجوهرات والحلي، وهذه الحرفة تشارك فيها المسلمون واليهود في مصر[6].

---

(1)- لهيطة ،المرجع السابق، ص 34.

(2)- سعيد مغاوري محمد، المرجع السابق، ج2، ص ص 583- 585.

(3)- نفسه، ج1، ص 345.

(4)- نفسه، ج2، ص 630.

(5)-إبن الحمصي، المصدرالسابق، ص 538 .

(6)- سعيد مغاوري محمد، المرجع السابق،ج2 ، ص567.

- حرفة الحبّال: هو صانع الأربطة من الحبال، بعضها تصنع من القطن، وهناك نوع آخر يصنع من الكتان[1]. وتجدر الإشارة إلى وجود أنواع أخرى من الحبال التي إشتهرت بها مصر وهي الحبال المصنوعة من ألياف النخيل[2].

- حرفة الحداد: يعود ظهور هذه الحرفة في إلى القرن الأول للهجرة، والتي إمتهنها المسلمون وأهل الذّمة، والحداد معالج الحديد والذي يقوم بصناعة العديد من الأدوات ذات الإستعمال اليومي كأدوات الطهي والأبواب، وأدوات ذات الإستعمال الحربي كالأسلحة والأذرع والسيوف...إلخ[3].

- حرفة الخشاب: هو بائع الخشب والأثاث الخشبي من خزائن وأبواب وصناديق التي تُنحت من الخارج وتُطلى بألوان مختلفة، إذ تباع هذه الأدوات في سوق الخشابين[4] .

- حرفة النّحاس: وهو صانع الأدوات النحاسية المختلفة، كالأواني وصناديق المصاحف والملاعق النحاسية، وهناك أنواع من النحاس (الأحمر، الأصفر والأبيض) كما تنقش هذه الأدوات من الخارج لتصبح أكثر جمالا، والنّحاس له الخبرة في تلميع هذه المادة، ولقد شاعت هذه الحرفة كثيراً في مصر، إذ نجد دكاكين عديدة للنّحاسين فيها [5].

- حرفة الدباغ: وهو الذي يقوم بدباغة جلود الحيوانات المختلفة، وحرفة الدباغة من الحرف التي تتطلب مهارة ومقدرة عالية في تنظيف الجلود وتسويتها وإعدادها لعملية الدبغ بمواد طبيعية، وهناك العديد من الأشخاص يعتبرونها صنعة مقلقة وذلك بسبب الروائح الكريهة التي تنبعث منها والتي تؤذي صحة الإنسان، والمكان الذي تمارس فيه هذه الحرفة يعرف بالمدبغة التي تنشأ بعيداً عن مكان التجمعات السكانية وهذا بإشراف المحتسب وأمناء الصناعات[6].

---

[1]- نوع من النبات يستعمل لصناعة الحبال، كما أنّ له إستعمالات آخر كمعالجة بعض الأمراض، للمزيد انظر: سعيد مغاورى محمد، المرجع السابق، ج1، ص 342.

[2]- نفسه ص 342.

[3]- لهيطة، المرجع السابق، ص 34.

[4]- مغاورى محمد، المرجع السابق، ج1، ص376.

[5]- نفسه، ج2، ص 820.

[6]- ريمون، المرجع السابق، ص 72.

-حرفة الحمامي: وهي مهنة ينشط أصحابها داخل الحمامات، إذ يقوم أصحابها بتنظيف المستحمين وتغيير مآزرهم ومراقبة ثيابهم، وتضم هذه الحرفة أيضا صاحب الحمام، كما يقوم بها النساء وحتى الرجال [1].

---

[1]- سعيد مغاورى محمد، المرجع السابق، ج1، ص358.

4. أسواق الحرفيين في مصر :

تعدّ الطوائف الحرفية أساس الوحدة الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع، فالحرفيون يشكلون مجتمعاً بحد ذاتهم، فكانت القاهرة مقسمة إلى طوائف حرفية حتى من الناحية الجغرافية، وهذا التقسيم على حسب وفرة المواد الأولية والإمكانيات الصناعية التي تتميز بها كل منطقة، وكانت لكل طائفة أحياء خاصة بها ويطلق عليها اسم حارة [(1)]، إذ توجد حارات وأسواق تحمل اسم الحرفة التي لها الغالبية في المنطقة،كحارة النحاسين وحارة الدباغين وغيرها[(2)].

ظهرت في مصر العثمانية أسواق جديدة إلى جانب الأسواق التي كانت في العهد المملوكي، إذ تجاوز عددها 30 سوق ونذكر من بينها:

سوق الفحامين — سوق خان الخليلي – سوق الباسطية – سوق الوراقين – سوق الدجاجين – سوق الصاغة – سوق العطارين – سوق الغزل – سوق السلاح – سوق الحدادين – سوق الأغنام– سوق القمح والحبوب – سوق الرقيق – سوق النحاسين –سوق الدباغين –سوق النساجين والقماشين[(3)].

بالإضافة إلى وجود السويقات وهي أماكن أصغر من الأسواق وأهمها سويقة الحمام وسويقة الصباغين[(4)].

أشهر الأماكن الصناعية هي القاهرة وضواحيها والإسكندرية وأسيوط والقصير وقنا [(5)].

هنا تجدر الاشارة إلى أهم الطوائف التي شهدها المجتمع المصري، والتي من بينها: طائفة الصيارفة، طائفة الحباكة، طائفة الرختوانية بسوق القماش، طائفة القزازين، طائفة الصاغة، طائفة القهواجية، طائفة النقاشين، طائفة النجارين، طائفة النحاسين، طائفة الخبازين، طائفة الحلَوانية،

---

(1)– عبد السلام عبد الحليم عامر، المرجع السابق، ص14.

(2)– هريدي، الحرف والصناعات، المرجع السابق، ص17.

(3)– عبد الرحيم عبد الرحمن عبدالرحيم، **الحياة الإجتماعية في مدينة القاهرة إبان العهد العثماني**، المجلة التاريخية المغربية، ع 1121، طبع الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، مارس 1988، ص481.

(4)– نفسه، ص483.

(5)– لهيطة، المرجع السابق، ص35.

طائفة المخللاتية، طائفة المدابغية، طائفة السماسرة، طائفة الدلالين، طائفة الصباغين، طائفة الخراطين، طائفة العطارين، طائفة الحدادين، السباكين [1].

الأصناف الحرفية في مصر تضم أصحاب الحرفة الواحدة، ولها وظائف اجتماعية واقتصادية في نفس الوقت، فهناك عدد كبير من المصريين الذين ينتمون إلى طوائف الصنائع والحرف، فنجد بها أصناف للطباخين والدباغين والخبازين والنساجين والخياطين والوراقين والجزارين ...إلخ، وبروز هذه الفئات راجع إلى طبيعة المجتمع المصري، وتبرز وظيفة الأصناف في ضمان الترابط بين الحرفيين والمحافظة على أسرار الحرفة ورعاية مصالح الحرفيين في حد ذاتهم .

[1]- عبد الرحيم عبد الرحمن عبدالرحيم، المرجع السابق، ص ص486-489.

المبحث الثالث: دور الأصناف الحرفية وتفاعلها.

1. علاقة الطوائف الحرفية بالسلطة وتفاعلها مع الطرق الصوفية.
2. علاقة الأصناف الحرفية في ما بينها.
3. علاقةالطوائف الحرفية بباقي فئات المجتمع.

من الطبيعي أن نجد في المجتمع الدمشقي والمصري في المرحلة التاريخية المدروسة أنّ أفراده يتعايشون بتكامل مؤسساته الاجتماعية المختلفة، الإدارة الحاكمة، الحرفيون والتجار، أهل الذّمة [1] أحياناً وبسيطرة إحداها على الأخرى أحياناً.

إذ أنَّ المجتمع يتطور من خلال تفاعل تلك المؤسسات التي تؤثر في أراء وأفكار أفراده، وتنعكس في عاداتهم وتقاليدهم وقيمهم الروحية التصوفية، وفي نظام الحكم والتفاوت الاجتماعي ووضعهم المعيشي. وهذا ما نلمسه من خلال علاقة الأصناف الحرفية بالسلطة الحاكمة والطرق الصوفية.

1. علاقة الطوائف الحرفية بالسلطة وتفاعلها مع الطرق الصوفية:

أ)- مع السلطة: إنّ علاقة الأصناف الحرفية بالسلطة هي علاقة الحاكم برعاياه، والتي ترتكز حول جباية الضرائب وضبط الأمن دون أن تتدخل في شؤونهم الداخلية، ومن وظائف الطوائف الحرفية الأساسية أنها كانت الرابط الأساسي بين السلطة وبين سكان المدن، ومساعدة السلطة في سيطرتها عليهم دون حاجة إلى إدارة خاصة، وكان الشيوخ يحتفظون بقائمة أسماء أعضاء الطائفة، الأمر الذي يسمح للسلطة باللّجوء إليهم عند الحاجة. فقد كانت الطائفة المهنية خلية أساسية تساعد السلطة على الإحاطة بالرعايا عن طريق مشايخ المهنة، والذين كانت تستشيرهم أحياناً في حالة وجود أزمة، ففي حالة حدوث مصاعب غذائية كبيرة كالمجاعة أو ارتفاع أسعار السلع، يقوم أغا الإنكشارية أو المحتسب باستدعاء المشايخ للحصول منهم على المعلومات اللازمة ولوضع تسعيرة لمساعدتهم، فإذا كان الأمر يتعلق بأزمة الخبز مثلا يقدم المشايخ المعلومات الضرورية عن كمية الحبوب المتوفرة وتكلفة صنع الرغيف ثم يتم وضع التسعيرة وإعلانها في السوق[2].

ب)- مع الطرق الصوفية: لقد كان هناك ارتباط بين الأصناف الحرفية والطرق الصوفية، إذ نجد أنّ معظم مشايخ الحرف ينتمون إلى إحدى هذه الطرق، كما أنّ الطرق الصوفية تحث أبناءها على

---

[1]- مصطلح يستخدم في لغة الشريعة ويشير إلى الرعايا غير المسلمين(اليهود والنصارى) التابعين لحاكم مسلم، يمارسون شعائرهم الدينية بحرّية مقابل دفع الجزية. للمزيد انظر: جب وبون، المرجع السابق، ج2، ص 295.

[2]- ريمون، المرجع السابق، ص 99-100.

امتهان الحرف وإتقان الصنائع، وتجعل من الحرفة أو المهنة قيمة أساسية من قيمها، وتضفي عليها عمقا روحياً خاصاً[1].

يبرز وجود الطرق الصوفية في الطوائف الحرفية من خلال حضورهم مجالس الشدّ (ترفيع المبتدئ إلى صانع والصانع إلى معلم). فهذا يعتبر طابع رمزي من خلال الحركات والرموز والإشارات وحلقات الذكر، إذ يقوم شيخ الطائفة بتلاوة سورة الفاتحة والأدعية في المجلس[2].

[1]- عائشة غطاس، **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700 –1830م مقاربة اجتماعية اقتصادية** ، اطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، ج1، مرقونة، جامعة الجزائر، 2000-2001م، ص 172.

[2]- وجيه كوثراني، **العلماء والطرق الصوفية والتنظيم الحرفي**، مجلة الدراسات المغربية، المرجع السابق، ص 626.

2. علاقة الأصناف الحرفية فيما بينها:

لقد كان في بلاد الشام ومصر علاقة وثيقة بين الهيئات التي تزاول الحرفة، وذلك من خلال:

أ)- علاقة الأصناف الحرفية مع بعضها البعض:

لقد كان المجتمع الشامي والمصري يتكون من عدد كبير من الطوائف المهنية والحرفية، وقد مثلت هذه الأصناف غالبية سكان الإيالتين، وكانت كل طائفة منغلقة على نفسها وذلك طبقا لنظمها، إذ لا يسمح بدخول أحد أبناء الحرف الأخرى إلى مهنتهم. وكانت العلاقة بين أبناء الطائفة تقوم على التعاون والاحترام فيما بينهم، مع احترام السلم الطائفي-المبتدئ يحترم الصانع، والصانع يحترم المعلم[1]- كما أننا نجد أنّ معظم الحرف متوارثة، فالحرفي يحترف مهنة والده بهدف المحافظة عليها وحمايتها من الزوال[2].

ب)- علاقة حرفيي الشام مع حرفيي مصر:

اشترك الشوام في مصر بصفة عامة وفي مدينة الإسكندرية بصفة خاصة في قطاع الحرف والصناعات، إذ اشترك بعضهم في صناعة النسيج وبرعوا فيها، وكانت هذه الصناعات صناعات صغيرة وتمارس في ورش صغيرة، وكانوا يستلمون الغزل الخام ثمّ يقومون بصناعته حسب الطلب[3].

قد عمل السوريون في حرفة الخبازيين والقصابين(الجزارين)، وعملوا أيضا في صناعة الحلوى، وكأصحاب مقاهي، وكان بعضهم يعملون بالأجر لدى غيرهم، وكانوا يحصلون على أجورهم في بعض الأحيان في شكل عيني مثل الملابس وغيرها. وقد يتفق العامل مع صاحب العمل على عمل معين وأجر محدّد، وعملوا في حرفة تبييض النحاس، واشتغلوا في الحياكة التي كانوا يتعلمونها عن المغاربة.

[1]- عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، المرجع السابق، ص ص 486-489.

[2]- نفسه، ص258.

[3]- صلاح أحمد هريدي، **الشوام وحياتهم الاقتصادية والاجتماعية في الإسكندرية**، مجلة الدراسات التاريخية، المرجع السابق، ص 673.

لقد دخل الشوام في التنظيمات الطائفية الحرفية التي كانت في الإسكندرية في ذلك الوقت، وقد ساهموا في كل الأنشطة الاقتصادية التي كانت موجودة في الإسكندرية في العهد العثماني[1].

ويبدو أنّ هذه الخلفية ساعدت على انتعاش الحركة التجارية بين الإيالتين، لتصل إلى اسطنبول وانتشرت في شتى الولايات العثمانية

[1]-صلاح أحمد هريدي، المرجع السابق، ص674.

3. علاقة الطوائف الحرفية بباقي فئات المجتمع:

يظهر التفاعل الاجتماعي للحرف من خلال:

أ)–علاقتهم بالجيش الإنكشاري:

عاش معظم الحرفيين في المجتمع حياة متوسطة وبسيطة، ولقد أدت بعض الظروف السياسية الخاصة إلى ضعف أحوالهم المادية لهذا كثيراً ما كانوا يساهمون بدور نشط في الحركات الاجتماعية التي تقوم ضد السلطة الحاكمة، وذلك بعلاقتهم مع الجيش الانكشاري [1]، ولجأ العسكريون إلى الأعمال الحرفية ولم تقتصر تلك الظاهرة على العسكريين فقط، والذين حاولوا زيادة دخلهم وتحسين مستواهم المعيشي، بل انضم إليهم المجندون المحليون القادمون من بين الطبقات الأكثر فقراً في المدينة، ومنذ القرن العاشر هجري/ السادس عشر ميلادي بدأ أهالي الحرف في دخول الأوجاق [2] للحصول على الحماية، وكانت غالبية الحرف التي ذكرناها تنتمي إلى إحدى الأوجاقات وبصفة خاصة أوجاق الإنكشارية، ورغم إصرار السلطة الحاكمة على منع أرباب الحرف والمهنيين على الدخول إلى الأوجاق ومغادرة الجيش الإنكشاري سواء في القاهرة أو دمشق إلا أنهم لم يستجيبوا للأوامر[3].

---

[1]– يني تشيري، لفظ يطلق على الجيش الجديد وهي فرقة من فرق الجيش العثماني والذي كان أفراده يختارون من الشباب المسحيين وأغلبهم من اليتامى والذين يربون على طاعة السلطان العثماني، وأول سلطان أمر بتشكيله هو السلطان أورخان بن عثمان عام 730هـ/1330م، وفي عهد السلطان سليمان قسم إلى أوجاقات، للمزيد أنظر،صابان، المرجع السابق، ص41.

[2]– جمعها الأوجقات، لفظ تركي معناه المكان الذي تشعل فيه النار وتطور مدلوله إذ أصبح يطلق على الأفراد المتواجدين فيى مكان واحد ،كما أطلق هذا اللفظ على مجتمع أرباب الحرف، وبعدها أصبح يطلق على أصناف جند السلطنة سواءا البرية أو البحرية ويقصد به الجيش العثماني. للمزيد أنظر: الخطيب، المرجع السابق،ص53.

[3]– ريمون، المرجع السابق، ص77.

ب)-علاقتــهم بأهل الذمة:

يبدو أنّ الطوائف الحرفية في كل من الشام ومصر كانت تضم في الإجمال المسلمين إلى جانب اليهود والمسيحيين بنسب متفاوتة. ويعود وجود اليهود والنصارى في المدن العربية إلى عهود سابقة، ومع الفتح العثماني للأقطار العربية تزايد عدد هذه الفئة التي ظلت تحت حماية العثمانيين خاصة بعد طردهم من اسبانيا، ولقد مارس هؤلاء اليهود والنصارى أنشطة متعددة في كل من بلاد الشام ومصر، إذ عمِلوا في بداية الأمر كتجار وهذا لمعرفتهم بأهم الطرق التجارية الخارجية، وما ساعدهم على احتراف النشاط التجاري هو تمكنهم من اللغات هذا ما ساهم في تسهيل معاملتهم مع مختلف تجار الدول الأوروبية. فالتجارة أحالتهم بالضرورة وبطريقة غير مباشرة لحرفة الصيارفة إذ عملوا كصرافين(مستبدلي النقود) في الأسواق، لدرجة أنهم أصبحوا يقرضون الأموال للولاة لأنهم كانوا من طبقة الأثرياء نظراً لعملية السمسرة التي يقومون بها، وهذا ما فتح لهم المجال لاشتغالهم في المعادن النفيسة، إذ شكلوا طوائف حرفية خاصة بهم. فأصبح لهم أسواق، كسوق الصاغة لليهود، وبهذا نافسوا المسلمين[1].

من أهم الحرف التي مارسها أهل الذمة، إلى جانب حرفة الصيارفة نذكر:

صناعة الأجبان: كانت وجهة اليهود نحو القرى المصرية بهدف شراء الألبان لصناعة الأجبان، ومن ثمة يرسلونها إلى المدن مع أجراء من غير اليهود سواء من المسلمين أو غيرهم من أهل الذمة بغرض بيعها.

الصناعات الخفيفة: احترف اليهود صناعة النسيج والغزل والخياطة.

تجدر الإشارة إلى أنّ المرأة اليهودية قد احترفت مهنة التطريز التي كانت تمارسها بالمنزل[2].

---

[1]- ريمون، المرجع السابق، ص ص 84-85.

[2]- يعقوب لانداو، **تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية(1517-1914م)**، تر: جمال أحمد الرافيعي وأحمد عبد اللطيف حماد، تق و مر: محمد خليفة حسن، المجلس الأعلى للثقافة، د .ب، 2000م، ص ص 154-156.

الخاتمة

نستنتج مما سبق مايلي:

-إنّ إنتعاش إقتصاد الدولة العثمانية خلال القرن 10هـ/16م كان مرتبطاً في الأساس مع إقتصاد الأقطار العربية، بما في ذلك الشام ومصر، إذ مكّنها ذلك من السيطرة وبشكل كبير على الطرق التجارية والأسواق الخـارجية.

– تعدّ بلاد الشام مركزا إقتصاديا ذا مداخيل كبيرة بسبب طبيعة جغرافية منطقتها وتمتعها بأسواق صناعية كبيرة نشطت السوق المحلية والخارجية بمنتوجاتها المتنوعة، كما غطت النقص الذي شهدته إسطنبول في حد ذاتها، خاصة في المراحل الأخير من القرن السادس عشر.

- تزويد مصر لإسطنبول بعدد كبير من الحرفيين المهرة وأرباب الصنائع خلال القرن العاشر هجري/ السادس عشر ميلادي، حيث أدى ذلك إلى إنتشار أنواع عديدة من الحرف في الأناضول والتي لم تعرفها المنطقة من قبل، ونتج عن ذلك ترك هؤلاء المهنيين لمستهم الفنية في العديد من المنشآت المعمارية والحرفية في المنطقة.

– إنّ اهتمام السلطة الحاكمة بأصحاب الحرف في بلاد الشام ومصر يعود إلى أهمية هذه الفئة من خلال حراكها الإقتصادي الذي انعكس على واقعها الإجتماعي.

– اعتبر نظام الطوائف الذي اعتمدته معظم المهن والصنائع مجالا ساهم فيه سلاطين آل عثمان بطريقة غير مباشرة من خلال تفعيله بقوة في بلاد الشام ومصر خاصة، وذلك بفرض الأمن والإستقرار في أوساطهم الإجتماعية، هذا ما ساعد على بروزهم كطوائف صناعية محترفة متخصصة كلّ حسب مجاله الحرفي، حيث تجمعت هذه المهن والحرف في أسواق مخصصة لها، مما أضفى عليها الطابع التنظيمي المـركز ونتج عن ذلك إحترام كلّ طائفة للأخرى.

– بروز مبدأ التنافس بين أرباب الحرف المختلفة والذي أدى إلى تحسين مستوى الحرفيين في المجتمع الشامي والمصري على حد سواء، هذا ما شجع النهوض بالحرفة فكان ذلك أهم هدف من أهداف التنظيم الحرفي في إيالات الدولة العثمانية .

– مبدأ الوراثة أهم ميزة في الطوائف الحرفية، وبإنتظامهم في شكل طوائف حافظوا على سرية الحرفة، وإستمرارية وجودها داخل المجتمع بأكمله.

– رغم أن معظم الطوائف الحرفية كانت تحبذ الإنغلاق على نفسها، وعدم إحتكاكها بأطراف أخرى في المجتمع، إلا أن طبيعة المجتمع الشامي والمصري دفعها إلى التفاعل مع السلطة والإنكشارية والطرق الصوفية وأهل الذمة.

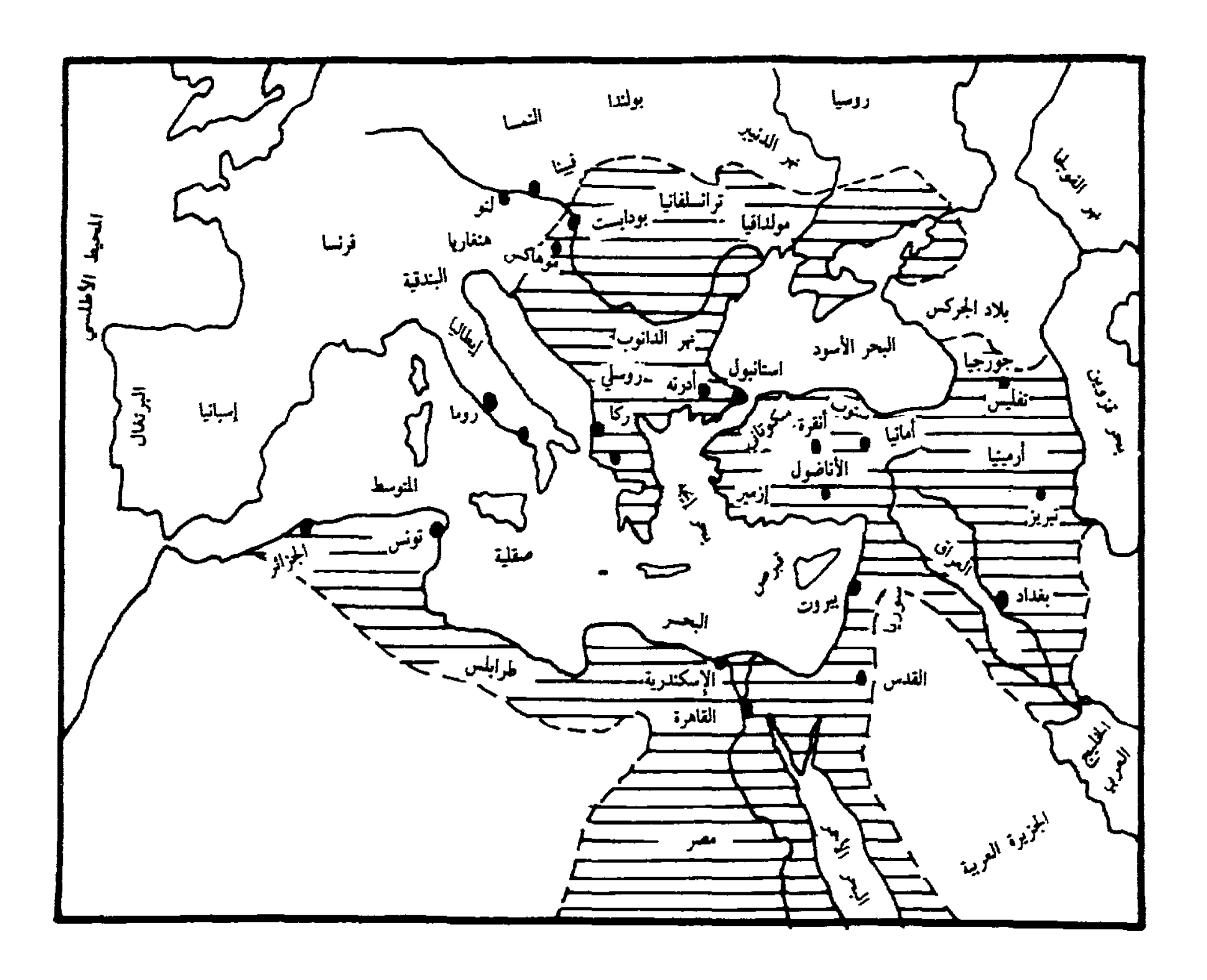
–كان أصحاب الحرف المختلفة يعملون كعائلة واحدة، كل في حرفته وكانت لهم نظم ذات تقاليد مستقرة مثل نقابة، حيث وجب على أصحاب الحرف أن يمرو بمرحلة التدريب والتعليم التي تتدرج من مرحلة المتعلم الناشئ أو العامل المبتدئ إلى الصانع فالمعلم المحترف، وكان يتم تعليم وتدريب الشباب المبتدئين في الحرف المختلفة بصرامة للحفاظ على الحرفة من الاندثار، مع الأخذ بعين الإعتبار التدريب المهني التجاري والحرص على ترسيخ مفاهيم أخلاقية أهمها أن يكون محبا للخير ويتحلى بأخلاق حسنة وهذا راجع أساسا إلى إنتماء الأصناف الحرفية إلى الطرق الصوفية.

– وجود أنواع من الحرف خاصة بالمسلمين وأخرى إحتكرها اليهود والنصارى، وذلك لتغطية النقص الذي كان يشهده السوق الشامي والمصري، إذ فسح هذا الأمر المجال لبعض الحرف بالظهور داخل أسواق المدن العربية، وكان على رأسها الصيرفة والسمسرة.

– رغم إثقال السلطة على هذه الفئة بدفع الضرائب، إلا أنها لم تتخل عن مهنتها، فإرتباطها بالحرفة كان إرتباط معنويا أكثر من ماديا وهذا من بين أهم أسباب استمرارية الحرفة.

قائمة الملاحق

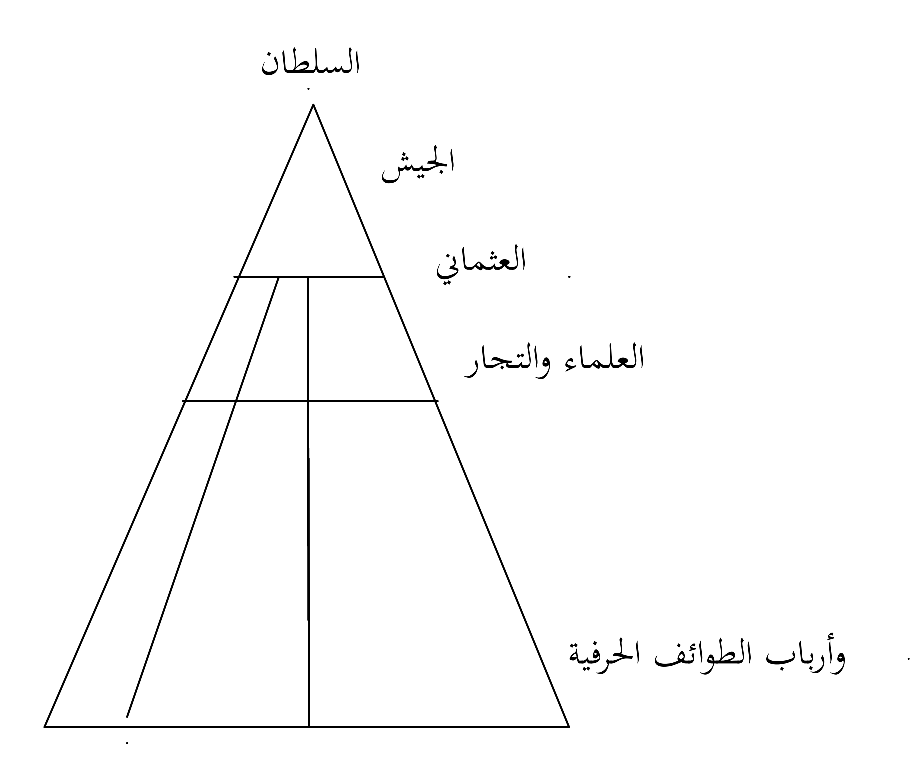
الملحق رقم01: الإمبراطورية العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني[1].



---

[1]-عمر عبد العزيز عمر، **تاريخ المشرق العربي (1516-1922)**، د.ط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت،د.ت، ص91.

الملحق رقم 02: تمثيل بياني يمثل هرم لفئات المجتمع العثماني[1]**.**



(1) عمل الطالبتان.

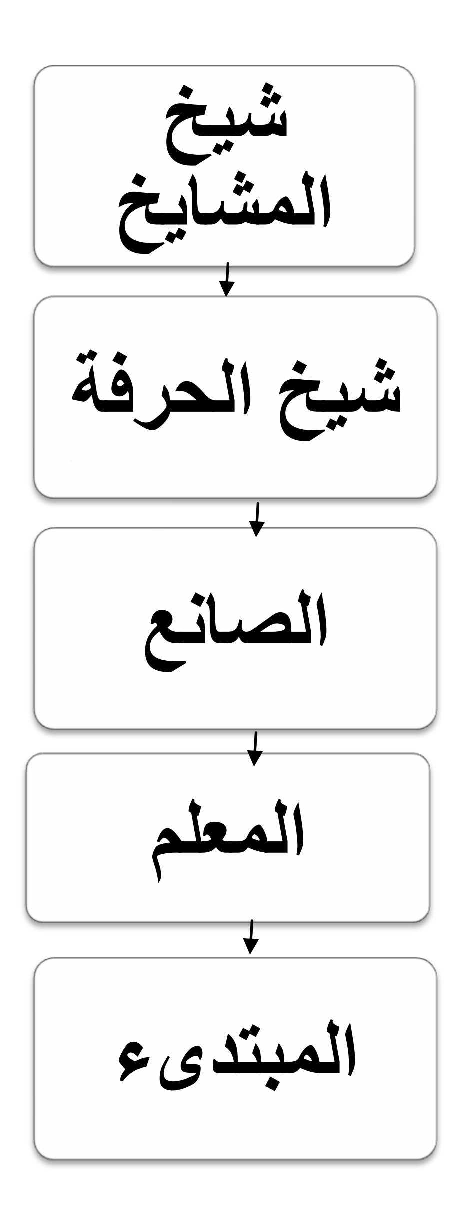
الملحق رقم 03:واردات بورصة للحرير من إيران.[1]

السنة .	واردات بورصة بالدوقية[2] الذهبية .
893هـ/1487م	40000
914هـ/1508م.	33000
918هـ/1512م	43000
928هـ/1521م	13000
930هـ/1523م	17000
965هـ/1557م	24000

(1) -خليل إينالجيك، **تاريخ الدولة**، المرجع السابق ، ص 149.

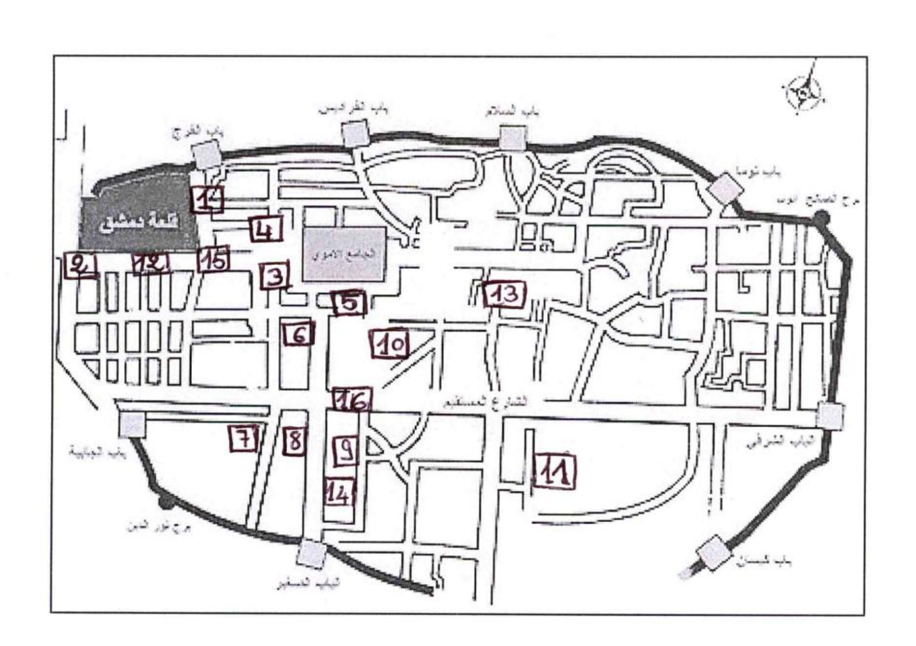
(2)- هي النقد الذهبي في البندقية وهي مشتقة من كلمة دوكاتو الإيطالية ونسبة الذهب فيها 99%. للمزيد أنظر سهيل صابان المعجم، المرجع السابق، ص 115. كما عرفت الإمبراطورية أنواع عديدة من النقود كالأقجة وهي وحدة نقدية من العملات بيضاء مضروبة من الفضة وتستعمل في الصفقات الرسمية وظهرت منذ عهد أورخان حتى نهاية القرن17م و بعدها ظهرت البارة ثم القرش العثماني. للمزيد أنظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1416هـ - 1996م، ص13.

الملحق رقم04: الهيكل التنظيمي للطائفة الحرفية في بلاد الشام.[1]



[1] – عمل الطالبتان.

الملحق رقم 05:خريطة أسواق دمشق[1].



1 - سوق النحاس.
2 - سوق النحاسين.
3 - سوق القيشاني.
4 - سوق القماش.
5 - سوق القباقبيين.
6 - سوق الحرير.
7 - سوق العطارين.
8 - سوق الذراع.

9 - سوق الحبالين.
10 - سوق الوراقين.
11 - سوق الجمعة.
12 سوق الأروام.
13 - سوق الأحد.
14 - سوق القطن.
15 - سوق الحديدة
16 - سوق الصاغة.

[1] – عمل الطالبتان.

الملحق رقم 06: وثيقة تمثل:تعيين شيخ الطائفة الحرفية بحضور القاضي[1].

لما حضر لدى مولانا قاضي القضاة شيخ الاسلام جماعة التجار بسوق العطر بالفحامين بسبب مشيخة سوقهم المذكور وبعضه طلب محفوظ الزرنيجي وبعضهم طلب ابراهيم بن الجمال طال القيل والقال واشرف الأمر على الاختلال فأحضر مولانا قاضي القضاة بعض مفردات من العطر الموضوع بدكاكين أهل السوق ووضعه بين يديه فى المجلس العام وعرضه على محفوظ وابراهيم

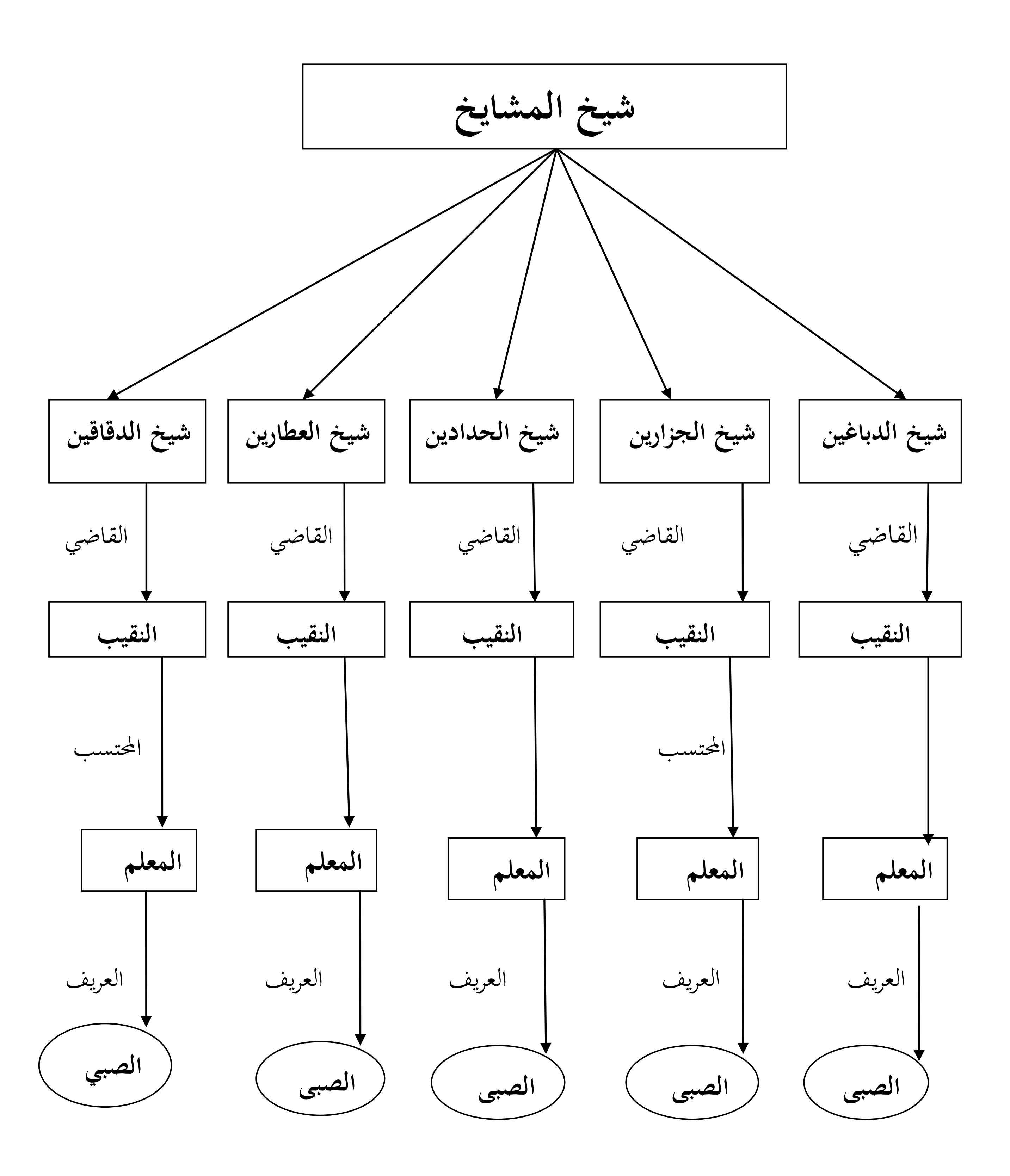
المذكورين بحضرة أهل السوق فلم يعرفه واحد منهما وكان فى المجلس من جملة تجار السوق المذكور الشيخ نور الدين على بن الشيخ نور الدين الباوانى فسئل منه عن المفردات فذكرها فردا فردا ثم اختبره حضرة قاضي القضاة وامتحنه فى غير ذلك فيما يتعلق بالعطر والأعشاب فأحسن الجواب واتضحت أهليته وتبين كونه أولى وأليق وثبت أنه أحرى وأحق فعند ذلك قرره حضرة قاضي القضاة ونصبه وأقره شيخا على تجار السوق المذكور أسوة من تقدمه فى ذلك وضح محفوظ المزبور وابراهيم المذكورين من التعرض فى ذلك وأبطل العمل بما يخالفه من الآن لما ظهر بعد الامتحان جرى ذلك فى ثامن عشر شوال سنة ثلاث وألف •

[1]- عبد الرزاق إبراهيم عيسى ،المرجع السابق ،ص ص 365- 366.

الملحق رقم 07: وثيقة تمثل: طلب تعلم صبي حرفة عند إسكافي والتي تحتوي على بعض الشروط[1].

(1)– صلاح أحمد هريدي علي ،**الجاليات اللأوروبية في الإسكندرية في العهد العثماني** ، المرجع السابق ،ص99.

الملحق رقم**08: هيكل تنظيمي للطوائف الحرفية في مصر**[1].



(1) – عمل الطالبتان.

قائمة المصادر والمراجع

I. المصادر:

1. الأسدي خير الدين (توفي عام 575هـ/1179م)، **أحياء حلب وأسواقها**، تحقيق: عبد الفتاح روّاس قلعة جي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1974م.

2. بن إياس الحنفي المصري محمد بن أحمد (توفي عام930هـ/1524م)، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، الجزء 3، دون طبعة، مطابع الشعب، 1960م .

3. ابن الحمصي أحمد بن محمد بن عمر الأنصاري (توفي عام:934هـ/1527م)، **حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران** ، تحقيق: عبد العزيز فياض حرفوش، الجزء 3 ، الطبعة 1، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2000م.

4. الدمشقي أبي الفضل بن علي، **الإشارة في محاسن التجارة** ، تحقيق: محمد عبد المجيد الدوماني الحنبلي، تح: 1988م، معجم المطبوعات 1-341.

5. اللحمي الاشبيلي علّي بن محمد (581هـ/1185م)، **الدّر المصان في سيرة المظفر سليم خان،** تحقيق: هانس ارنست، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1962م.

II. المراجع:

1. الأرناؤوط محمد، معطيات عن دمشق وبلاد الشام الجنوبية في نهاية القرن السادس عشر، الطبعة 1، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، 1993م.

2. إبراهيم عيسى عبد الرزاق، **تاريخ القضاء في مصر 1517م-1798م**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998م.

3. إفانوف نيقولا، **الفتح العثماني للأقطار العربية** 1517م - 1574م، ترجمة: يوسف عطا الله، مراجعة: مسعود ظاهر، الطبعة1، دار الفارابي للنشر، بيروت، 1988م.

4. إينالجيك خليل، **تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار** ، ترجمة: محمد الأرناؤوط، الطبعة1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002م.

5. إينالجيك خليل، **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية،** 1300م -1600م،المجلد 1، تر، عبد اللطيف حارس، الطبعة 1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2007 م.

6. أوغلى أكمل الدين إحسان، **الدولة العثمانية تاريخ وحضارة** ، ترجمة: صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إسطنبول، 1999م.

7. أوزتونا يلماز، **موسوعة تاريخ الدولة العثمانية** ، ترجمة: عدنان محمود سلمان، المجلد 4، الطبعة1 ، دار العربية للموسوعات، لبنان، 2010م.

8. بركات مصطفى، **الألقاب والوظائف العثمانية، دراسة في تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية،1517م . 1924م**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

9. جب هاميلتون وبون هارولد ، **المجتمع الإسلامي والغرب دراسة حول تأثير الحضارة الغربية في الثقافة الإسلامية بالشرق الأدنى في القرن الثامن عشر للميلاد** ، ترجمة: أحمد إيبش، الجزء1، الطبعة1، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، دار الكتب الوطنية، 2012م.

10. حنا عبد الله ، **حركات العامة الدمشقية في القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر«نموذج لحياة المدن في ظل الإقطاعية الشرقية»**، الطبعة1، دار ابن خلدون، لبنان، 1985م.

11. الخطيب مصطفى عبد الكريم، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية** ، الطبعة1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م.

12. ريمون أندري، **المدن العربية الكبرى في العصر العثماني** ، ترجمة: لطيف فرج، الطبعة1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1991م.

13. زيادة خالد، **كاتب السلطان حرفة الفقهاء والمثقفين** ، الطبعة 1، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، 1991.

14. سيار جميل، **تكوين العرب الحديث**، دار الشرق للنشر والتوزيع، الأردن، 1997م.

15. شوجر بيتر، **أوروبا العثمانية** 1354 م – 1804م، ترجمة: عاصم الدسوقي، الطبعة 1، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 1998م.

16. الشناوي عبد العزيز محمد ، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها** ، الجزء1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980م.

17. صابان سهيل، **المعجم الموسوعي للمصطلحات التاريخية** ، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض،2000م.

18. صياغة نايف، **الحياة الاقتصادية في مدينة دمشق في منتصف القرن التاسع عشر** ، وزارة الثقافة، دمشق، 1995م.

19. طبين أحمد، **تاريخ المشرق العربي المعاصر**، دون طبعة، المطبعة الجديدة، دمشق، 1986م.

20. الطويل توفيق، **التصوف في مصر إبان العصر العثماني** ، مكتبة الأداب، مصر، دون تاريخ النشر.

21. عامر عبد السلام عبد الحليم، **طوائف الحرف في مصر** 1805م-1914م، الهيئة المصرية العلمية للكتاب، مصر، 1993م.

22. عمر عبد العزيز عمر، **تاريخ المشرق العربي** (1516-1922)، د.ط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت،د.ت.

23. فاروقي ثريا، **الدولة العثمانية والعالم المحيط بها** ، ترجمة:حاتم الطحاوي، مراجعة:عمر الأيوبي، الطبعة1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2008م.

24. القاسمي محمد سعيد، **قاموس الصناعات الشامية** ، تحقيق: ظافر القاسمي، الطبعة 1، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1988م.

25. كوثوراني وجيه، **الفقيه والسلطان،** المركز العربي الدولي للنشر والترجمة، دون بلد النشر.

26. لاندوا يعقوب، **تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية(1517-1914م)**، ترجمة: جمال أحمد الرافيعي وأحمد عبد اللطيف حماد، تقديم ومراجعة: محمد خليفة حسن، المجلس الأعلى للثقافة، دون بلد النشر، 2000م.

27. لهيطة محمد فهمي، **تاريخ مصر الإقتصادي في العصر الحديث** ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1944م.

28. مانتران روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** ، ترجمة:بشير السباعي، الجزء 1، دار الفكر للدراسات والتوزيع، القاهرة ، 1989م.

29. مؤنس حسن ، **أطلس تاريخ الإسلام**، الطبعة1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة،1987م.

30. المحامي محمد فريد بك، **تاريخ الدولة العثمانية** ، تحقيق:إحسان حقي، الطبعة 1، دار النفائس، بيروت، 1981م.

31. محمد عمر مروان، **سجلات محكمة طرابلس الشرعية 1174-1271هـ/1760-1854م، دراسة في مصدر تاريخي**، الطبعة1، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2003م.

32. المرسي الصفصافي احمد ، **إستانبول عبق التاريخ ... روعة الحضارة** ، الطبعة 1، دار الأفاق العربية، القاهرة، 1999م.

33. مغاوري سعيد محمد ، **الألقاب وأسماء الحرف والوظائف في ضوء البرديات العربية** ، المجلد 1، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة، 2000م.

34. موستراس .س، **المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية** ، ترجمة:عصام محمد الشحادات، الطبعة 1، دار إبن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2002م.

35. نعيسة يوسف جميل، **مجتمع مدينة دمشق في الفترة ما بين(1186–1256هـ/1772–1840م)**، الجزء1 ، الطبعة1 ، دار طلاس للدراسات والترجمة، دمشق، 1986م.

36. نعيسة يوسف، **يهود دمشق**، الطبعة 1، مطبعة الصباح، دمشق،1988م.

37. هريدي صلاح أحمد، **الحرف والصناعات في عهد محمد علي** ، تقديم: عمر عبد العزيز عمر، دار المعارف، الإسكندرية، 1985م.

38. هريدي صلاح أحمد علي، **الجاليات الأوروبية في الإسكندرية في العصر العثماني 923هـ–1213هـ/1517م–1798م**،دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1987م/1988م.

III. الرسائل الجامعية:

1. غطاس عائشة، **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700–1830م مقاربة اجتماعية اقتصادية**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، الجزء 1، مرقونة، جامعة الجزائر، 2000-2001م.

IV.المقالات:

1. التميمي عبد الجليل ، **المجلة التاريخية المغربية** ، العدد 1121، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، مارس 1988م.

2. زيات حبيب، **نزهة الرفاق في شرح حال الأسواق(بدمشق)** ، مجلة المشرق، عدد: 37، رقم: 1–2-3، دون دار النشر، 1939م.

الفهارس

فهرس الأماكن والأعلام

فهرس الأعلام :

فهرس الأماكن:

فهرس الحرف :

الفهرس العام

فهرس الموضوعات :

الفهارس.